ساحر الكتب

أمل الأصيل

رواية

الوُرِيث

عصير الكتب

إهـــداء

إلى أصدقاء العمر الجميل؛ حيث البدايات وأجمل الأوقات... ستظلان في القلب مهما تباعدنا

الغالية: مي وجيه

الحبيبة: جيهان تواضروس

أمل الأصيل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١

الوحيد الذي لم أكن أستطيع أن أراه أو أسمعه هو غدي. منذ أن تركت بيت أبي ولزمت السكن الداخلي للمدرسة الثانوية ثم بيت عمتي في الأجازات وأنا تطاردني الحرائق في أحلامي؛ تندلع في كل ما حولي وأحيانًا بداخلي، فأرى في الحلم أن قلبي مشتعل أو رأسي تملأها النار بالداخل، أو عينيّ تهطل منهما دموع على هيئة سيل من اللهب... حرائق متعددة الأغراض لم تكن في الأحلام تأكل فقط الأشياء المادية، لكنها في بعض الأحلام كانت تأكل أشياء معنوية كالخطوات على طريق والأمنيات في نفوس الناس والضحكات والأفكار؛ فمثلًا تتجسد لي في الحلم كومة من الأفكار، ثم تأتي النار فتأكلها عن آخرها، ويتصاعد منها دخان له أشكال متعددة؛ مخيفة أحيانًا وأحيانًا أخرى حالمة.

في ذلك اليوم الذي لن أنساه ما حييت وكنت في الصف الثاني الثانوي وبينما أنا في منتصف حلم، كانت النار فيه تأكل كتبي وملابسي وبضع قطرات من الدموع، بدأت أشم رائحة الحريق وأشعر بحرارته تقترب مني؛ فاستيقظت من الحلم وفتحت عينيّ لكن لم تذهب الرائحة ولم تختفِ الحرارة؛ فعدت أغمض عينيّ جيدًا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فسمعت صرخات بعض الطلاب في حجرات مجاورة، صرخات استغاثة وألم؛ عندها تبين لي أن الحريق انتقل من الحلم للواقع فنهضت مسرعًا من فوق السرير وجريت ناحية باب الحجرة، أمسكت بالمقبض فلسعت يدي سخونته فسحبت ملاءة السرير واستخدمتها كواقي، وفتحت الباب فواجهتني نار حمراء قادمة من الحجرات المقابلة لحجرتي، ورأيت الكثير من الطلاب ملتفين ببطاطين ويجرون للخروج من ممر الحجرات، فعدت للداخل وسحبت بطانية لففتها حول نفسي وخرجت من الحجرة محاولًا الابتعاد عن ألسنة النار، وقبل أن أصل لنهاية الممر تذكرت أهم الأشياء في حياتي وقد تركتها ورائي في الحجرة التي تقترب النار منها؛ فعدت مرة أخرى وأنا أسمع صوت مشرفيّ السكن في نهاية الممر يصيحون باتجاهي في غضب واستنكار لما أفعل... تجاهلت كل صيحاتهم وواصلت الرجوع للوراء، وعندما وصلت الحجرة كانت النار قد اشتعلت في أحد أطراف البطانية؛ فأطفأتها بقدمي وأخذت من خزانة ملابسي صندوقيّ الماضي؛ احتضنتهما جيدًا ولففت نفسي ببطانية أخرى وانطلقت مُسرعًا في اتجاه ممر الخروج، متفاديًا قدر استطاعتي ألسنة اللهب التي كانت تلعق كل ما تصل إليه.

في ذلك اليوم المأساوي مات ثلاثة طلاب في الحريق وأُصيب عشرة آخرون بحروق متفاوتة... احترقت عشر حجرات بكل ما فيها ونجوت أنا والصندوقان.

استمرت معي قدراتي غير العادية التي هي أحد أسراري التي لم أخبر بها إنسان ولا توجد لدى أحد غيري؛ إنهما قدرتيّ السمع والبصر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في أقوى حالاتهما وأغربها؛ أسلحتي في مواجهة العالَم ومواجهة مخاوفي... فما زلت عندما أُغمض عينيّ جيدًا أسمع على مسافات بعيدة؛ وعندما أسد أُذنيّ جيدًا أرى على مسافات أبعد؛ أيضًا يمكنني تحريك الأشياء بعينيّ إذا كانت أذنايّ مغلقتين جيدًا.

خلال طفولتي ومراهقتي كانتا هاتان القدرتان في أحيان كثيرة نعمة كبيرة بالنسبة لي؛ فمن خلال البصر تأتيني الأشياء البعيدة واضحة كي أراها، ويمكنني تحريك القريبة مني إذا احتجت لذلك، ومن خلال السَمع أذهب بأذنيّ إلى حيث لا أستطيع؛ لكن في بعض الأحيان تصبحان نقمة فأتعذب من خلالهما بما أرى وأسمع.

اكتشفت أولًا قدرتي الخارقة على السَمع عندما كنت في السابعة من عمري؛ واكتشفت قدرتي الخارقة على البصر عندما كنت في التاسعة؛ ومنذ اكتشافي لهاتين القدرتين وأنا أعمل على تقويتهما بتمارين مستمرة ومحاولات عديدة إلى أن أصبحت في العاشرة من عمري مُسَلَحًا تمام التسليح بهاتين القدرتين... ولم أُخبر بهما أحدًا مطلقًا ولا حتى أمي، إنهما سري الذي لا يعرفه أحد.

لا أحتاج أن أفتح فمي وأسأل؛ فيمكنني بسهولة استخدام أذنيّ كي أعرف كلّ ما أريده من وراء الأبواب المُغلَقة ومن خلف الحوائط؛ ولا أحتاج أن أمشي مسافة أطول كي أرى؛ فيمكنني استخدام عينيّ كي أرى على مسافات بعيدة وأنا واقف في مكاني... وفي الصف الثالث الإعدادي صفعت أحد زملاء الفصل الأشرار بيد مدرس الرياضيات؛ يده التي حركتها بعينيّ كي تصفعه.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم تُنجب أمي غيري ولم تحب أحدًا كما أحبتني.. رحلت عن عالمنا

وأنا في الصف الثاني الإعدادي، ولحق بها خالي الوحيد في العام الذي يليه وتزوج أبي وأصبحت له عائلة غيري... وفي وحدتي الشاسعة تلك كانت قدراتي هي ونيسي ووسيلة اتصالي بالعالَم من حولي... دخلت بأذنيّ بيوت الجيران واستمعت لأحاديثهم، عشت معهم أفراحهم وأحزانهم؛ عرفت أسرارهم؛ وجلست معهم على موائد الطعام... شاهدت بعينيّ جريمة قتل في نهاية الشارع ولم أستطع منعها؛ سمعت جريمة قتل أخرى في نفس المبنى الذي كنت أعيش فيه مع أبي ولم أستطع مواجهتها إلا بالخوف الذي ملأني؛ كنت أصغر وأضعف من أن أواجه أحدًا.

عندما ماتت جدتي أم أبي وكنت وقتها في حوالي العاشرة من عمري، جاءتني فكرة أن أحتفظ بشيء منها يذكرني بها كلما طرق رأسي النسيان؛ ومنذ ذلك الوقت ولمدة عام أخذت أجمع في صندوقين ذكريات لمَن فارقوني سواء بموت أو بحياة؛ (صندوق الأحبة وصندوق الأشرار)... ظللت أفعل هذا إلى أن تركت بيت أبي مع بداية المرحلة الثانوية في المدرسة... وحتى الآن كلما فتحت هاذين الصندوقين أُجدد الذكرى.

في بداية المرحلة الثانوية ظهرت لديّ هواية جديدة وهي الغوص في أعماق المعاني؛ وخاصةً معاني الأسماء؛ في هذه المرحلة من حياتي كانت تشاغب عقلي الأسماء ومعانيها؛ خاصةً أسماء الناس؛ وأفكر في طعم أسماء الآخرين، وقعها على الأذن، نكهتها الخاصة... أحيانًا كثيرة أجد تحليلًا لبعض الشخصيات من خلال أسمائهم ومعانيها؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وأخذت أضع تفسيرات عملية لنظريتي هذه بتطبيقها على المحيطين بي؛ مثلًا باسم أراه دائمًا مبتسمًا؛ وفريد به شيء متفرد عن غيره، ودلال تحب الدلال وحنان لا بد وأن كلها حنان... الوحيد الذي كان يستعصي عليّ تحليله ومعرفة سبب تسميته هو اسمي... أيُ تاجٍ أنا؟! وتاج ماذا؟

قبل أن تموت أمي بعدة أيام سألتها:

- لماذا اخترتِ لي اسم تاج؟

صمتت كثيرًا؛ صمتت لدرجة أني يئست من إجابتها ثم قالت لي:

- ستعرف عندما تكبر.

لم أفهم إجابتها، ولماذا اختيار اسمي معلومة تحتاج مني أن أكبر كي أعرفها؛ لا أدري... ماتت أمي ولم أعرف، وما زلت لا أعرف.

بعد نجاحي في الشهادة الإعدادية بتفوق التحقت بمدرسة ثانوية داخلية قضيت فيها كلّ المرحلة الثانوية؛ ثلاثة أعوام كانت بمثابة خطواتي الأولى الجادة في الحياة؛ قبل هذه السنوات كنتُ وحيدًا كفزاعة في حقل شاسع؛ لا أحد يؤنس وحدتي؛ كلّ العصافير تطير مبتعدة بمجرد أن تراني؛ أُخيف البشر أيضًا وكأني شبح، مصنوع من ملابس رثة، معروف بقدرتي على طرد الطيور، موصوم بالخوف.

طوال حياتي وأنا أُحيط نفسي بجدار اسطواني من الصمت، أعزل نفسي عن الآخرين، أواجههم بكمية كبيرة من هذا الصمت؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ليس تكبرًا أو تعاليًا؛ ولكنها طبيعتي هكذا؛ أجد نفسي في قلة الكلام؛ دائمًا صموتًا، متفكرًا أكثر مني متكلمًا... ومع مرور السنوات نما هذا الصمت كثيرًا وتضخم.

أجازة آخر العام خلال هذه الأعوام الثلاثة كنت أقضيها في بيت عمتي الذي كان مفتوحًا لي باستمرار بعد أن أغلقت زوجة أبي "سهام" في وجهي بيت أبي؛ كانت باستمرار تُطلق سهام كراهيتها في اتجاهي.

في أجازة أول عام دراسي لي في المدرسة الداخلية عدتُ لمنزلي مشتاقًا لحجرتي، مشتاقًا لأخبار الجيران... فتحت لي الباب زوجة أبي؛ وبمجرد أن رأتني تجهم وجهها ولوت شفتيها ونظرت لي من أسفل لأعلى وهي تقول:

- ازداد طولك كثيرًا يا تاج.

ظلت في وقفتها تحول بيني وبين الدخول، تواصل سبرها لأعماقي، وتُأرجح عدة احتمالات في رأسها... ثم سمعت صوتًا أنثويًا رقيقًا يأتي من خلفها ويسألها عمَّن أتى فأفسحت لي الطريق ونظرت أنا كي أرى مَن تكون صاحبة ذلك الصوت... وكانت تقف هناك، فتاة جميلة في مثل عمري أو تكبرني قليلًا؛ لها عينين رماديتين وبشرة بيضاء؛ ترتدي ثوبًا ورديًا وتُمسك في يدها ملعقة طعام، بدا وكأنها آتية من المطبخ... أشارت زوجة أبي ناحيتي بامتعاض وهي تقول للفتاة:

- إنه تاج... لقد عاد.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تفاجأت الفتاة لكنها كانت أكثر ترحيبًا بي من زوجة أبي واتجهت ناحيتي وهي تقول:

- أهلًا أهلًا تاج... تفضل... أنا ندى بنت زوجة أبيك.

رددت اسمها بداخلي "ندى" واستشعرت حلاوته ورأيته مناسبًا لجمالها ورقتها... لم أستطع أن أرد عليها بشيء وكأنني فقدت النطق؛ اتضحت لي الصورة في تلك اللحظة، لقد استطاعت زوجة أبي أن تُحضر ابنتها لتعيش معها هنا، وبهذا أصبحت أنا شخصًا غير مرغوب فيه في هذا البيت... شعرت بالغربة عن المكان وعن كلّ ما حولي؛ دارت بي الصالة التي أقف على بابها ودارت معها كلّ الأشياء من حولي وحتى تلك التي بداخلي.

أخذت زوجة أبي الملعقة من يد ابنتها وانسحبت لداخل المنزل وطال صمتي ووقوفي، فتقدمت مني ندى وحملت الحقيبة التي كانت في يدي واتجهت للداخل فتبعتها في صمت وأنا أُقلب أكثر من احتمال في رأسي... جلست على الأريكة بنفس الصمت فقالت هي:

- حمد الله على السلامة... لم تُخبرنا بموعد عودتك.

لم أرد عليها بشيء فواصلَت كلامها قائلة:

- أنا أنام في حجرتك لكني سأقوم بإخلائها حالًا كي تستريح فيها.

- لا داعي لهذا، أنا كنت ذاهبًا لبيت عمتي؛ سأقضي الأجازة هناك؛ لكن أحببت أن أرى أبي أولًا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم تكن هذه هي الحقيقة؛ كنت مشتاقًا للعودة للبيت الذي عشت فيه طفولتي كلها، لحجرتي ولأصوات الجيران وأخبارهم التي أفتقدها؛ لكني فوجئت بأنه لم يعد بيتي بعد الآن، امتلأ بغيري ولـــم يعد به مكان لي... أفقت على صوت ندى تقول:

- دقيقة واحدة... سأُحضر لك مشروبًا باردًا تشربه في هذا الجو الحار.

ودخلت مُسرعة لداخل البيت فأردت أن أسمع ما تقوله مع أمها؛ أغمضتُ عينيّ وبدأت أسمع:

- هذا الولد لا أستطيع أن أحبه مهما حاولت.

- يا ماما يبدو عليه أنه طيب ومسكين.

- مراد يجب أن يجد حلًا لإبعاده عن هنا... لا يمكن أن يبقى في البيت، لا مكان له بيننا.

- اطمئني؛ يقول أنه سيقضي الأجازة عند عمته.

- أحسن.

ظهرت ندى من داخل البيت ثم وضعت الصينية أمامي وقدمت لي كوب العصير البارد الذي أخذته من يدها وأنا أقول لها:

- شكرًا.

شربتُ قليلًا ووقفت كي أغادر وأنا أسألها عن أبي فقالت لي:

- لم يحضر والدك من العمل بعد.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أخبريه أني سألت عنه؛ وأنني في بيت عمتي.

- يجب أن تنتظره وتتناول الغداء معنا.

لم أرد عليها ووقفت لأغادر في الوقت الذي جاء فيه طفل صغير من الداخل يحبو على الأرض وهو يُمسك في يده اليمنى لعبة خضراء اللون على شكل تمساح؛ نظرت للطفل الذي حملته ندى من فوق الأرض واقتربت به مني وهي تقول بابتسامة عذبة وصوت رقيق:

- أخوك ماجد.

إذًا فقد أنجب أبي أخيرًا غيري... مد ماجد يده ليلمس وجهي فتحرك شيء ما في قلبي فأمسكت بيده وقبلتها ثم قبلته مرة أخرى على خده، وأخذت حقيبة ملابسي وخرجت من المنزل متجاهلًا نداءات ندى من خلفي... في تلك اللحظة لم تكن في نيتي العودة مرة أخرى لذلك المنزل.

لم يسمح لي الوقت ولا الموقف الذي كنت فيه بأن أتجول بأذنيّ في بيوت الجيران وأطمئن عليهم وأعرف الجديد من أخبارهم؛ رحلت من هناك مسرعًا، تاركًا كلّ شيء من خلفي قاطعًا كلّ ما يصلني بذلك المكان.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

٢

في بيت عمتي قوبلت بالترحاب الشديد منها؛ فبعد رحيل أمي لم يعد هناك أحد في هذه الدنيا يحبني غيرها... أبناء عمتي غارقون في عوالمهم المختلفة ولم أكن بالنسبة لهم إلا هامشًا على طريق الحياة.

تزوجتا ابنتيّ عمتي إشراق وإنصاف، وقسمت عمتي حجرة البنات الواسعة لحجرتين فأصبح في المنزل حجرة فارغة تنتظرني، حجرة خاصة بي؛ وضعت عمتي فيها كلّ ما أحتاجه؛ سرير وخزانة ملابس ومنضدة وكرسي وسجادة مرسومٌ عليها "وعلٌ في غابة"... حجرة صغيرة الحجم لكنها تعطيني كلّ ما أحتاجه من خصوصية.

جاء أبي في تلك الليلة كي يطمئن عليّ وأصرَّت عمتي على أن يبقى لتناول العشاء معنا... وقبل العشاء تناولنا حديثًا مقتضبًا وشعرت به سعيدًا لأني أريد البقاء في بيت عمتي خلال عطلات الأجازة.

في تلك الليلة الأولى من الأجازة وبعد أن تناولت طعام العشاء معهم ثم ذهب أبي، اختليت بنفسي في حجرتي وأخرجت من حقيبتي الصندوقين؛ أردت أن أُلقي نظرة على كلّ ما تبقى لي من البيت والحي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الذي تركته ورائي للأبد... أردت أن أختتم تفقدي بصندوق الأحبة؛ لذا فقد بدأت بصندوق الأشرار.

أخرجت منه دفتر زميلي في المدرسة "وائل" الذي لم يترك أحدًا إلا وتشاجر معه وكنت أُشبهه بالطاووس لمدى الغطرسة والتكبر اللذان اتصف بهما؛ مات وائل في حادث سيارة ونحن في الصف الثاني الإعدادي وهذا كلّ ما تبقى لي منه، دفتر مليء بالأصفار والعلامات الحمراء كتبت أنا على غلافه الخلفي (طاووس – شرير – متكبر – بليد).

وضعت الدفتر على السرير ثم أخرجت علبة سجائر كانت لابن جارنا المدمن "طارق"؛ مكتوب عليها (ابن الجيران – مدمن – مقزز – ضعيف)، وضعتها بجوار الدفتر على السرير ثم أخرجت مجموعة من الخطابات مكتوب عليها (غريبة الأطوار – يائسة – حزينة – مجنونة)؛ إنها لجارتنا المجنونة التي انتحرت، ويوجد مجموعة مثلها في الصندوق الثاني وذلك لحيرتي وقتها في أي الصندوقين يجب أن أضع تلك المجنونة، فقسمتها نصفين بين الصندوقين.

فتحت مجموعة الخطابات هذه وقرأتها ثم وضعتها على السرير وأخرجت من الصندوق ورقة بيضاء بداخلها غطاء رأس ومكتوب على الورقة (خادمة – سمراء – نشيطة - سارقة)؛ تذكرت الخادمة التي كانت في بيت عمتي والتي كانت تسرق بعض الأشياء الصغيرة كالأقلام والملاعق والجوارب إلى أن اكتشفَت عمتي هذه السرقات فطردتها وتبقى لي منها غطاء الرأس هذا؛ وضعته على السرير بجوار

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

باقي الأشياء وكان صندوق الأشرار قد فرغ مما فيه فأعدت إليه كلّ ما كان به وبدأت بتفقد صندوق الأحبة.

أخرجت من صندوق الأحبة صورة جدتي "حليمة"،أم أبي؛ تبتسم في الصورة وهي تحملني وأنا طفل صغير؛ أطلت النظر إليها وتذكرت صوتها، تجاعيد وجهها وقصصها التي كانت تحكيها لي... نظرت لما كتبته على خلفية الصورة (جدتي - طيبة – طويلة - عجوز)... ثم وضعتها على السرير وأخرجت من الصندوق ورقة بيضاء مكتوب عليها (أمي – جميلة – رقيقة – حبيبة)؛ فتحتها فكان بها خصلة شعر من أمي الغالية الحبيبة "رجاء"؛ شممتها، فشعرت بأنها ما زالت تحمل رائحة شعرها الأسود الجميل الذي لم أرث منه شيئًا، قبَّلت الخصلة ولففتها مرة أخرى بالورقة التي كانت بها ووضعتها بجوار صورة جدتي.

أخرجت من الصندوق "جزء عمّ" الذي أعطاني إياه خالي الوحيد مصطفى، قرأت الكلمات التي كتبتها عليه من الخلف (خالي – متجهم – متعاون – طيب) ثم فتحته فجاءت عيني على سورة "الضحى"، قرأتها كلها بصوت مرتفع ثم وضعته بجوار الورقة التي بها شَعر أمي... ثم تناولت صندوقًا معدنيًا صغيرًا فتحته وقد كان به نسخة من الإنجيل وبه رسالة قصيرة من صديقي البقال الذي رحل "عم خَلَف"؛ وفي الورقة التي بها رسالته كانت كلماتي عنه (بقال - متسامح – حكيم – صديقي)؛ وضعت الورقة مع الإنجيل في الصندوق ثم وضعت الصندوق بجوار "جزء عمّ".

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بعد ذلك أخرجت من صندوق الأحبة ورقة بيضاء مكتوب عليها (جارنا – عجوز – عطوف – وحيد)؛ وبداخلها كانت قطعة الحلوى التي أعطاها لي هذا الجار ذات يوم... ثم أخرجت ظرف خطاب لا أعرف ما المكتوب بداخله؛ وعلى الظرف كانت هناك كلماتي: (بنت البواب – ضعيفة – صفراء – عاشقة)؛ راودتني نفسي كي أفتح الخطاب وأقرأه؛ لكني فضلت أن أترك للأموات أسرارهم ولا أفضحها ولو حتى لنفسي فوضعته على السرير؛ ثم أخرجت مجموعة من الخطابات مكتوب عليها (غريبة الأطوار – يائسة – حزينة – مجنونة)؛ إنها باقي خطابات جارتنا المجنونة التي انتحرت؛ قرأت هذه المجموعة أيضًا ثم وضعتها على السرير.

أخرجت من الصندوق ظرف خطاب مكتوب عليه من الخارج (سيدة – عجوز – غامضة - وحيدة) وبداخله كانت ورقة جافة لنبات "البوتس"، وضعت الظرف على السرير ثم أخرجت صورتي مع سائق عربة عمتي، "عم سالم" الذي كان لديه تباين في عينيه فكانت له عين بنية اللون والعين الأخرى زرقاء؛ وعلى الصورة من الخلف مكتوب (سائق – بسيط – دءوب – معطاء)... ثم أخرجت آخر ما كان في صندوق الأحبة، الشال الأزرق الذي أهدتني إياه "كريمة"، أمينة المكتبة في حيّنا التي ماتت هي وأبناؤها في انهيار المبنى الذي كانت تسكن فيه؛ كان ملفوفًا جيدًا بورقة بيضاء كتبت عليها (أمينة المكتبة – بدينة – بيضاء - سعيدة).

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ألقيت نظرة حب على محتويات صندوق الأحبة ثم أعدت كلّ شيء لمكانه داخل الصندوق ما عدا الورقة التي بها خصلة شَعر أمي فقد احتضنتها ونمت.

رأيت في الحلم في تلك الليلة حريقًا هائلًا يأكل منازل كثيرة ويقترب من المكان الذي أقف فيه؛ لم أكن أجري أو أحاول الابتعاد عن الحريق؛ فقط أنظر إليه وأراه يقترب... ثم ظهرت أمي "رجاء" وأخذت تنفخ في الحريق فانطفأ، ثم نظرت لي نظرة حب أعرفها واختفت.

ما فعلته من تفقد محتويات الصندوقين أعاد لي أحاسيسًا كثيرة مختلفة ومتشابكة، واشتقت لأمي فقررت أن أذهب لزيارة مقبرتها؛ أنا لم أزرها غير مرة واحدة أنا وخالي؛ خالي الذي مات في السجن ولم أسأل حتى عن مكان قبره؛ لا بد أنه مدفون بجوارها.

في اليوم التالي عزمت أمري وذهبت للمقبرة؛ اختلَطت عليّ الأبواب؛ فاستوقفت طفلة صغيرة من سكان المقابر سألتها عن "حوش الحاج سليمان"؛ قالت لي إنه بعيد عن هنا، وأشارت بيدها الصغيرة في الاتجاه الذي يجب أن أسير فيه، وتركتني وسارت مبتعدة في اتجاه مقبرة مكتوب عليها من الخارج "مدفن الشيخ راضي"... أخذت أتابعها بنظري وأنا أتساءل: كيف للأحياء أن يعيشوا هكذا وسط الموتى؟

أردت أن أرى كيف يعيشون بجوار الموتى؛ أخرجت من جيبي سدادتيّ الأذن وسددت أذنيّ جيدًا واستطعت من مكاني خارج المدفن أن أرى تلك الطفلة وهي تدخل إحدى الحجرات التي لها نافذة تُطل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

على خارج المدفن... من النافذة تسللت بعينيّ داخل الحجرة ورأيت بها حوالي خمس بنات أكبرهن تطهو الطعام أمام موقد يعمل بالجاز؛ وكانت تلك الطفلة التي تحدثت معها هي أصغرهن، وتعجبت عندما رأيتها تجلس على الأرض داخل الحجرة وفي يدها كتاب تقرأ فيه؛ كنا في أجازة آخر العام فماذا تقرأ في هذا الوقت؟

داخـــل المدفن يوجـــد أكثر من شاهد قبر وأكثر من حجـــرة، وبين الحجرات تمتد حبال غسيل عليها ملابسهم وفقرهم وبؤسهم... تركتهم لحالهم وسرت في اتجاه المقبرة التي أبحث عنها وأنا أُفكر في أسماء هؤلاء الناس الذين يعيشون في المقابر؛ هل لهم أسماء مثل أسمائنا أم تفرض عليهم البيئة المحيطة أسماءً مختلفة؟ وما هو معنى وطعم أسمائهم؟

بعد أن سرت مسافة طويلة وجدت الباب المكتوب عليه اسم عائلة أمي حيث أصر خالي بعد موتها على أن تُدفن بجوار أمها ولم يعترض أبي... كانت الثلاث مقابر متراصة؛ جدتي، أمي، وخالي... كلّ الأحبة في مكان واحد، في أرض واحدة... دعوتُ للجميع ثم جلست أمام قبر أمي وأردت الحديث معها لكن لم يطاوعني لساني؛ ولم أدرِ ماذا يجب عليّ أن أقول؟ شعرت بنسمة هواء تلفح وجهي وشممت فيها رائحة شَعر أمي؛ تلفتُ حولي أستبقي تلك النسمة؛ ترى هل هي روحها خرجت من القبر كي تُقبل وجهي؟

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

٣

في العطلة الدراسية لم يكن لديَّ الكثير لأفعله غير الإبحار في مزيد من القراءة؛ عرفت أماكن المكتبات المختلفة وعرفتني؛ حفرَت الكتب أنهارًا وأخاديد بداخلي؛ وكنت أحلم بها وبأبطالها؛ أتمنى لو أني بطل هذه الرواية أو تلك، لو أحبتني بطلة تلك القصة، أو احتضنتني هذه الأم، أو كتبت لي تلك الجميلة خطابًا... وبمَ أن كلّ هذا مجرد أحلام فقد بدأت أكتب خطابات لنفسي وأضعها في أظرف وأرسلها لعنواني في المدرسة الداخلية، وعندما أعود للدراسة أستقبلها من إدارة المدرسة وأقرأها بتلذذ.

بالإضافة للقراءة كنت أخرج كثيرًا وأتجول في الشوارع وأذهب لأماكن لم أرتدها من قبل؛ أردت أن أكسر جدار صمتي بصخب الشوارع؛ وأُذيب خجلي بالنظر في وجوه الناس... اعتدت أن أشتري لعمتي كلّ ما تحتاجه من الخارج من طلبات؛ فعرفت الأسواق والمحال التجارية؛ استمعت لأصوات الباعة وجدال المشترين؛ انغمست بكلّ قوتي في قلب المجتمع النابض.

واصلت اهتمامي بتقوية قدراتي من السمع والبصر واهتممت أيضًا بتقوية عضلاتي؛ فالحواس تحتاج لقوة جسدية تدعمها؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فكنت أذهب للنادي مرتين في الأسبوع وأتدرب على معدات حمل الأثقال وألعاب القوة البدنية... زادت شهيتي للأكل فكنت آكل كلّ ما تضعه عمتي أمامي من طعام؛ وأحرص جيدًا على شرب اللبن سواء أكنت في البيت أم خارجه... لم أكن أمرض كثيرًا وأعتقد أني لم أمرض مطلقًا، لا أتذكر متى آخر مرة كنت فيها مريضًا؛ لديَّ صحة جسدية يحسدني عليها أبناء عمتي وزملاء السكن الداخلي بالمدرسة.

في تلك الأيام اكتشفت قدرة جديدة تُضَاف لقدراتي من السمع والبصر؛ لقد دخلت مجال قدراتي حاسة الشم.

كنت أسير في ذلك الشارع المكتظ بالمحال التجارية أبحث عن دكان عطارة أشتري منه توابل الطعام لعمتي، عندما اعترضت طريقي سيدة ترتدي ثوبًا أسودَ وتحمل رضيعًا فوق يديها؛ عرفت على الفور أنها متسولة لكنها عندما بدأت تمارس طقوس تسولها وتخبرني بأحوالها البائسة وزوجها العاجز وطفلها الجائع شممت رائحة نتنة تخرج مع كلماتها فتصيبني؛ وكلما تكلّمت أكثر ازدادت الرائحة قوة، فوضعت يدي على أنفي محاولًا تفاديها وابتعدت عنها على الفور وأنا لا أدري ما هو مصدرها؛ فلا يُعقَل أن تكون للكلمات رائحة!

ابتعدت كثيرًا عن المكان الذي تقف فيه إلى أن وجدت نفسي أمام دكان عطارة فدخلته بسرعة وبدأت أستنشق روائح القرفة والينسون والحبهان والبهارات وباقي التوابل المختلفة؛ كنت أملأ أنفي بتلك الروائح كي أخلصه من تلك الرائحة العفنة التي أصابتني بها كلمات المتسولة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لـم أعـر تلك الحادثة اهتمامًا كبيرًا ونسيتها مـع زحمة يومي لكني في المساء عندما سألت ابن عمتي عن كتاب "الأيام" الذي نسيته على المنضدة بالصالة ضحك وهو يقول لي مازحًا:

- أكلته القطة.

عندها شممت نفس الرائحة النتنة التي شممتها في كلمات المتسولة؛ توقعت على الفور أني على أعتاب اكتشاف جديد في نفسي التي تفاجئني باستمرار بما هو غير متوقَع... فطلبت من ابن عمتي أن ألعب معه لعبة جديدة... سأسأله عدة أسئلة ويجيبني إجابات كاذبة على بعضها وإجابات صادقة على البعض الآخر... لم يكن يعرف ما المغزى من لعبة كهذه لكنه طاوعني... ويا للمفاجأة التي كانت في انتظاري؛ الإجابات الكاذبة منه كنت أشم رائحة كريهة لها والإجابات الصادقة كنت أشم رائحة ذكية لها؛ إذًا لصدق الكلمات وكذبها روائح؛ وها أنا ذا لديَّ القدرة على أن أشم هذه الروائح... بهذا الاكتشاف العظيم في نفسي سيمكنني التمييز بين الصادق والكاذب من رائحة كلماته؛ قدرة جديدة وعجيبة أكتشفها في نفسي وأنا في عامي السابع عشر؛ لقد أصبحت أزداد في العمر والطول والقدرات.

أخذت أفكر كثيرًا في قدرتي الجديدة هذه؛ ربما كانت لها أبعاد أخرى لم أكتشفها بعد؛ فإذا كانت الكلمات المسموعة لها رائحة حسب مقدار صدقها وكذبها فماذا عن الكلمات المقروءة؛ هل يمكنني أن أشمها أيضًا؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

على الفور بدأت أقوم ببعض التجارب لمعرفة هذا... أحضرت ورقة بيضاء وشممتها ولم يكن بها أية رائحة تُذكر... ثم كتبت عليها جملة خاطئة مملوءة بالكذب... كتبت "الإنسان له جناحان"... ثم شممتها فوجدت رائحتها كريهة... مزقت هذه الورقة وألقيت بها ثم أحضرت ورقة أخرى وكتبت عليها جملة صحيحة صادقة "الإنسان له عينان"... وشممتها فوجدت رائحتها عطرة... كدتُ أن أطير فرحًا وأخذت أُحرك يديّ في الهواء وكأني أعزف لحنًا جديدًا؛ لحن اكتشافي الجديد... ها أنا ذا مُسلَّح بسلاح جديد يُبين لي الصدق من الكذب؛ الصواب من الخطأ.

أخذت أُجرى عدة تجارب على قدرتي الجديدة وأحاول تقويتها قدر المستطَاع، ووجدت أن روائح الكلمات تختلف شدتها حسب درجة صدقها أو كذبها.

كلّ يوم تزداد سعادتي بهذه الحواس التي تتفتح لي مع مرور الأعوام ومع نضوجي الجسمي والعقلي... أراها هدايا من الله يعوضني بها عن أم تركتني وأنا طفل وأب انشغل عني بزوجة وأبناء غيري؛ وعالَم لا يفكر فيه أحد بأحد... كم أحب هداياك لي يا الله.

مع هذه القدرة الجديدة في حواسي عدت للمدرسة الداخلية مع بداية العام الدراسي الجديد بنشاط أكبر وقدرة جديدة... كنت أستطيع الغوص في نفوس الآخرين من حولي؛ من روائح كلماتهم كنت أعرف الصادق من الكاذب، المخلص من المنافق؛ ومن أسئلة الامتحانات كنت أستطيع بسهولة معرفة الإجابة الصحيحة من الخاطئة؛ ليس عليّ إلا أن أشمها جيدًا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حرصت على أن أتخذ لي أصحابًا من ذوي الكلمات ذات الـروائح الذكية؛ أتشمم كلماتهم جيدًا قبل أن آخذ قراري... حتى المدرسين كان يمكنني معرفة مقدار الصدق في أحاديثهم ومقدار الكذب.

في حصة التاريخ كنت أحيانًا أكاد أن أختنق من الروائح الكريهة المتفاوتة الشدة التي كانت تأتيني مع شرح المدرس لبعض المواضيع... وكنت أضع كتاب التاريخ على مسافة بعيدة مني وأنا أذاكر دروسي فيه حتى لا أضطر لشم بعض روائحه.

في الصف الثالث الثانوي كنا ثلاثة في الحجرة؛ أنا وعبد الرحمن ورضا... أنا ورضا في نفس العمر ونفس الصف الدراسي؛ وعبد الرحمن يصغرنا بعام وقليل الكلام والاندماج مع الآخرين؛ يشابهني في الطباع وليس في القدرات؛ فأنا لم أعثر بعد على شبيه لي في قدراتي... أما رضا فكان مرحًا، طيب القلب، شديد بياض الوجه؛ يُعطر الحجرة من حولي كلما تحدث؛ راضيًا باستمرار وكأنه يمتلك نصيبًا كبيرًا من اسمه... تمنيت لو أتخذه صديقًا مُقَرَبًا لي؛ لكن انطوائيتي وصمتي حالا بيني وبين حدوث ذلك... فظللت بحرص أقيس المسافة بيني وبين الآخرين حتى لا تقترب من الحد الذي لا أسمح به لنفسي... ومع مرور الأيام ترك الحجرة عبد الرحمن وبقي بها فقط أنا ورضا الذي تقرب مني أكثر وأكثر حتى أصبحنا أصدقاء.

رضا له صديق مقرب اسمه حسن؛ يكبرنا بعام وقد التحق بكلية الطب؛ متدين ولا تفوته صلاة واحدة... كان يأتي من وقت لآخر للسؤال عن رضا والبقاء معنا لبعض الوقت؛ ليس مرحًا مثل رضا؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

متأنيًا في كلماته وشديد التهذيب في كلّ تعاملاته؛ حسن الوجه والأخلاق؛ رائحة كلٍ من ملابسه وكلماته عطرة باستمرار... ومع مـرور الأيام أصبحنا أصدقاء؛ وأصبح لي صديقان.

في بعض الأوقات كنت أخرج من الحجرة للمطبخ المشترك بين الحجرات، وهناك أُغمض عينيّ وأستمع لما يقوله رضا وحسن بمفردهما في الحجرة؛ لم تكن أشياء هامة أو أسرار لكني كنت أحب سماع ما يقولانه في غيابي.

أحيانًا كانت تعذبني قدرتي على سماع الآخرين عن بُعد... معرفتي لآرائهم فيّ أو في الآخرين؛ معرفتي لبعض أسرارهم أو مشاكلهم؛ كنت أقف عاجزًا أمام كلِ ما أعرفه فلا يمكنني التصريح به ولا يمكنني التدخل لتغييره... كثيرًا ما كنت أريد المساعدة؛ لكن كيف وهم لا يعرفون أني أعرف.

بشكل ما كنت أشعر أنه طالما لديَّ هذه القدرات غير الموجودة لدى باقي البشر فمن حقي استخدامها كاملة؛ وإلا فلماذا هي لديّ، ما فائدتها؟ وهل يمكن أن تُنزَع مني إذا تركتها مهمَلَة منبوذة؛ هل يمكن أن تتركني يومًا؟

ظللت طوال الوقت أحافظ على العهد الذي قطعته على نفسي منذ اكتشافي لقدراتي هذه؛ وهو أن كلَ ما أسمعه من أخبار الآخرين يظل لي وحدي ولا يتعداني لغيري؛ وبهذا استبحت سماعهم دون تأنيب ضمير أو تعذيب روح.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كثيرًا ما كنت أفكر في أننا نمتلك خمس حواس، وها هي ثلاث منها تُظهر لي خباياها... وظللت أتساءل: ماذا عن الحاستين الباقيتين، اللمس والتذوق؛ هل لديَّ قدرات خاصة لهما؛ وهل هذه القدرات تحتاج لكي تظهر لعمر معين أو درجة نضج معينة... ولم يكن هناك مَن يملك إجابات لأسئلتي هذه غير الأيام.

خرجت من المرحلة الثانوية بمجموع كبير وقدرة جديدة وصديقين؛ رضا وحسن.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

٤

مجموعي الكبير في الثانوية العامة أخذني لكلية الطب بمنحة دراسية وسكن جامعي مجاني... وكذلك رضا التحق بنفس الكلية معي وكان حسن قد سبقنا بعام إليها؛ وكنا نعتبره الدليل والمرشد.

في ذلك العام فوجئت أنا ورضا بأن حسن قد أطلق لحيته، تدينه القوي قد أخذ منحنى جديدًا ظاهرًا؛ عندما رأيته أول مرة باللحية تذكرت خالي مصطفى بلحيته وغضبه المستمر؛ خشيت أن يتحول حسن ليصبح مثله لكن هذا لم يحدث؛ ظل حسن على بشاشته وجمال وجهه وأخلاقه؛ لم يتغير فيه شيء غير لحيته وازداد مقدار حبه في قلبي.

كلية الطب جاءت متناسبة جدًا مع شخصيتي لحب الدراسة والكتب؛ فلم أمِل يومًا من كثرة الدراسة أو القراءة في موادها الكثيرة.

أصبح لي ثلاثة أخوة من أبي؛ ولدان وبنت... لم أكن أزورهم لكن أبي كان من وقت لآخر يُحضرهم لبيت عمتي كي أراهم؛ ولم أكن أشعر بعاطفة خاصة ناحيتهم، مجرد أطفال كأي أطفال أراهم في أي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مكان... علاقتي بأبي استمرت باهتة يُغلفها الصمت وأحيانًا التجاهل؛ لم أطلب منه شيئًا ولم يكن هو مهتمًا بسؤالي... ارتاح كثيرًا لأنه ليس ملزمًا بدفع شيء في مصاريف تعليمي وتكفلت أنا بباقي مصاريفي فكنت أعمل في أجازة الصيف فأصبح لديَّ كل ما أحتاجه من نقود.

عملت في أكثر من مكان... في صيف أحد الأعوام عملتُ بائعًا في صيدلية، أبيع الأدوية للمرضى وأقرأ مفردات الألم على وجوههم... أما باقي الأعوام فعملت فيها في مكتبة؛ صاحب المكتبة الأستاذ "محمد إبراهيم" من معارف عمتي وهي التي حدثته عني وأخبرته عن حبي الشديد للقراءة والكتب، ثم طلبت منه أن يجعلني أعمل مساعدًا له في المكتبة خلال أشهر العطلة الدراسية.

لقائي الأول بصاحب المكتبة كان لقاءً غير تقليديًا؛ فمثل هذا الرجل لا نلتقيهم كثيرًا في حياتنا... أخذتني عمتي إليه في المكتبة ثم تركتني معه وذهبت؛ نظر هو إليّ في صمت لعدة دقائق ثم بدأ أسئلته أو بمعنى أدق استجوابه:

- ما هي درجة حبك للقراءة؟

- أحبها بنسبة ١٠٠%.

- منذ متى وأنت تقرأ؟

- منذ طفولتي.

- أعطني إجابة محددة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- منذ الصف الأول الابتدائي.

- ما هي أنواع الكتب التي تحب قراءتها؟

- يمكنني قراءة كل الأنواع لكني أُفضل الروايات والقصص القصيرة والشِعر.

عاد للصمت وهو يتفرس في وجهي وكأنه يقيس درجة صدقي فتشجعت وقلت له:

- هل ممكن أن أسأل حضرتك سؤال؟

- تفضل.

- هل يمكنني في أوقات الفراغ عندما لا يكون هناك عمل في المكتبة أن أقرأ بعضًا من الكتب الموجودة بها؟

- لا.

احمر وجهي من رفضه الصريح الذي اختزله في حرفين فقط "لا"... وكأنني متسول أمد يدي فينهرني الآخرون... شعر هو بما يجول في نفسي فقال لي:

- الكتب الموجودة هنا للبيع وليست للقراءة... أنا لا يمكن أن أغش المشتري وأعطيه كتابًا قد قرأه أحد غيره من قبل... وكأني مثلًا أبيع له ملابس تم ارتداؤها من قبل... عندما يشتري شخص ما كتاب جديد يجب أن يكون هو أول مَن لامست عيناه كلمات هذا الكتاب... هل تفهم ما أعنيه يا تاج؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

هززت رأسي بالإيجاب... واحترمت كثيرًا طريقة تفكيره وصدقه في التعامل مع الآخرين... ثم رأيته يُشير بيده لناحية بعيدة من المكتبة ويقول لي:

- الرف الزجاجي الموجود هناك؛ به كتب ليست للبيع؛ أضع فيها المزيد من وقت لآخر؛ أنا أيضًا أحتاج للقراءة... يمكنك قراءة ما تريد منه... منه فقط.

ابتسمت في سعادة لوجود كتب يمكنني قراءتها هنا... كتب ليست للبيع.

كانت المكتبة تضم مئات الكتب الجديدة؛ كتب عربية وأخرى أجنبية؛ روايات وقصص وكتب علمية وكتب تاريخ وسياسة ودين وفن ورياضة وطبخ وكلّ ما يخطر بالبال من أنواع الكلمات المختلفة... أعدت توزيعها وترتيبها على الأرفف حسب نوعها وأسماء مؤلفيها؛ كتبت سجلات جديدة لها وأنشأت قاعدة بيانات ورقية لحصر كل ما بالمكتبة؛ كان أستاذ محمد سعيدًا بنشاطي وطريقتي في العمل، وترك لي جزءًا كبيرًا من حرية اتخاذ القرارات فيما أراه مناسبًا لتنسيق الكتب وتوزيعها داخل المكتبة.

من خلال عملي بالمكتبة عرفت أسماء مؤلفين لم أكن أسمع عنهم، ودور نشر لم أقرأ لها حرفًا واحدًا من قبل؛ توسعت معرفتي بهذا العالَم الذي أحبه... بعض دور النشر كانت لا تنشر إلا تفاهات وسخافات؛ فرفضت عرض كتبها في المكتبة ووافقني أستاذ محمد الرأي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في بعض الأيام كان أستاذ محمد يجلس معي لنتسامر حول كتاب قرأناه من قبل؛ كل منا يقول ما أعجبه وما لم يعجبه في الكتاب، نتفق ونختلف ونضحك... كانت تلك الجلسات محببة إلى قلبي... ومن وقت لآخر نختار كتابًا نقرأه ثم نتناقش في محتواه.

أصبحت أبيع الكتب التي أحبها وأتحرق أحيانًا شوقًا لقراءة بعضها لكني لا أستطيع؛ وأدعو في سري أن يضع أستاذ محمد نسخة من هذا الكتاب أو ذاك في الرف الزجاجي، رف الكتب التي ليست للبيع... في بعض الأحيان كنت أقترح على رواد المكتبة ما يناسبهم من كتب وما قد يحبونه من أعمال، خاصةً هؤلاء الذين يأتون وهم لا يعرفون ماذا يريدون؛ من أشكالهم وكلماتهم كنت أستطيع أن أحدد ما يناسبهم، وكثير منهم كانوا يعودون مرة أخرى ليُخبروني أن ما اقترحته عليهم من كتب كانت رائعة ويطلبون مزيدًا من اقتراحاتي.

قرأت كل ما كان في الرف الزجاجي، وبين الحين والآخر كنت أفكر في الوقت الذي يجب أن أبدأ فيه بالكتابة؛ فالتطور الطبيعي لقارئ نَهِم مثلي هو أن يصل به الطريق لكي يصبح كاتبًا؛ لكني في تلك المرحلة لم تكن قد وصلت بي الرغبة بعد للكتابة؛ فما زال أمامي الكثير كي أقرأه؛ وما زلت لم أجد الشيء الذي يستحق أن أكتب عنه.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

٥

فترة الدراسة بالطبع كنت أقضيها في المدينة الجامعية، وفي الأجازة استطعت أن أحصل على سكن صغير بإيجار بسيط؛ ما أجمل أن يعيش الإنسان في مكان يملكه، كل ما فيه له وحده؛ لا يشاركه في هوائه أحد... في البداية رفضت عمتي فكرة أن أعيش في شقة بمفردي، لكن تحت إلحاحي وافقت مرغمة ثم أشرفت على تأثيث المكان وتفحصته من الداخل والخارج.

شقة صغيرة في أعلى بناية بها خمسة طوابق في حي سكني متوسط؛ يمتد أمامها سطح العمارة متسعًا بلا حواجز وتحيط بالمكان مآذن مرتفعة وأسطح كثيرة وأطباق هوائية؛ ويُغلف كل هذا سماء متقلبة الأحوال والألوان... تتكون الشقة من حجرة واحدة وحمام ومطبخ؛ كل حوائطها مطلية من الداخل والخارج باللون الأزرق الباهت؛ لون سماء لم تغسل وجهها بعد... لم أكن أحتاج لأكثر من هذا.

أثثت الحجرة بسرير كبير ومنضدة وكرسيين؛ خزانة للملابس وعدة أرفف أضع عليها الكتب؛ ويجاور كل هذا نافذة وحيدة تُطِل على سماء متسعة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

اشتريت أصيصًا كبيرًا به نبـات "البوتـس" ذو الأوراق الخضـراء اللامعة ووضعته بجوار السرير؛ حتى يكون هناك مَن أشعر بتنفسه بجواري.

أول ليلة لي في المكان تعرفت بأذنيّ على جيراني الجدد؛ تفقدت كل الطوابق فلم أجد شيئًا جديدًا أو مثيرًا؛ نفس الحياة ونفس الهموم تتكرر من مكان لآخر؛ حلقة من التكرار المتصل؛ الجري وراء لقمة العيش والمعاناة من الحب، الرضا والطمع، الخير والشر؛ الضحكات والدموع... المعادلة واحدة في كل مكان والنتيجة حياة.

في الشقة التي بأسفلي تمامًا، أي التي في الطابق الخامس، كان يوجد بها عقيد متقاعد؛ كثير الصخب؛ لم أكن أحتاج إغماض عينيّ حتي يمكنني سمَاع جلبته؛ كانت تأتيني بسهولة من النافذة؛ يأتيه أحيانًا أصدقاء متقاعدون مثله ويقضون معًا ليالي أشد صخبًا؛ فأترك المكان وأخرج للسطح الممتد أمام الشقة وأقضي الوقت في قراءة كتاب بعيدًا عن ضوضاء البشر؛ كنت لا أشبع من القراءة لكن عندما يطرق النوم جفوني أغلق الكتاب وأدخل المنزل فأجدهم عادةً قد ناموا أو ذهبوا فأنام... وكثيرًا ما كنت أراهم أبطالًا للحرائق التي تندلع في أحلامي.

رغم كل شيء أحببت ذلك المكان كثيرًا؛ لم أكن أراه على أنه حوائط وسقف وأرض؛ كنت أشعر به له روح؛ روح تستقبلني كلما دخلته وأشتاق إليها كلما ابتعدت عنه.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ولحبّي في المكان الذي أصبح يخصني لم أتركه، وتطلب هذا مني أن أدفع إيجاره حتى في شهور العام الدراسي وأنا في المدينة الجامعية، التي تُسهل لي حياتي أيام الدراسة بقربها من الجامعة وتوفيرها لوجبات الطعام... وكلما لاحت لي أيام أجازة أذهب مشتاقًا لصومعتي... وبين الحين والآخر أزور عمتي وأبناءها... وهكذا استمرت حياتي في هدوئها وسلامها.

صاحب العمارة يسكن في الطابق الثالث بأكمله؛ رجل قد قارب الستين من عمره، كثير الكلمات، وأسعده أني طالب في كلية الطب... يمتلك مقهى يحتل الطابق الأرضي كله من المبنى؛ وكلما رآني أدخل العمارة يقوم من مكانه وراء مكتبه بالمقهى ويتجه ناحيتي؛ يحييني بترحاب شديد ويطلب مني الجلوس كي أشرب شيئًا، لكني في كل مرة كنت أعتذر له وأنصرف... وعندما تكرر هذا الترحاب الذي شعرت به موجهًا خصيصًا ناحيتي قررت أن أعرف حكايته.

جلست في إحدى الليالي وأغمضت عينيّ جيدًا ونزلت بأذنيّ حتى الطابق الثالث وبدأت أتفقد أحوال سكانه؛ زوجته بطيئة الحركة كثيرة الشكوى؛ ولديه ثلاثة أولاد وبنت؛ ولدان لم يتما تعليمهما والثالث في كلية الحقوق؛ أما البنت فهي في الثانوية التجارية... أسرة عادية وحياة عادية؛ فما الذي يريده مني بترحابه الشديد لي كلما رآني.

ظللت كل ليلة أتفقد أحوالهم وأستمع إلى أحاديثهم إلى أن عرفت سبب اهتمامه بي عندما سمعته يتحدث مع زوجته عني؛ اعتدلت في جلستي عند ذكر اسمي وتابعت حواره مع زوجته بانتباه شديد... كان

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يقول لها أنه يجدني عريسًا مناسبًا لابنته الوحيدة، وأنه لن يهدأ حتى يتحقق هذا... يا للهول؛ أي ورطة هذه التي أصبحت فيها؛ عرفت وقتها سر اهتمامه الشديد بي وكان يجب عليّ أن أتصرف طبقًا لهذه المعرفة؛ إنها قدرة السمع تنقذني من مخطط كان يُحاك لي خلف الجدران.

في إحدى الأيام كنتُ عائدًا من الخارج في الظهيرة وبمجرد أن رآني أقترب من المبنى قام من مكانه بحيث أصبح في انتظاري عند وصولي للباب؛ حياني بنفس المحبة والاهتمام وأصر على أن أتناول معه طعام الغداء في منزله... حاولت أن أتخلص منه قدر الإمكان فلم أستطع؛ كان في قمة إصراره هذه المرة فصعدت معه مرغمًا وأنا أعرف نواياه جيدًا.

ابنته ليست بالجميلة أو القبيحة؛ مقبولة إذا أردنا الوصف، لكن لم تكن مطلقًا في مجال أحلامي أو حتى اهتماماتي... تناوبَت هي ووالدتها على وضع أطباق الطعام والترحيب الزائد بي؛ لكني فوجئت عندما بدأت أتناول طعامهم أن له طعمًا مرًا مما جعلني أتوقف عن الأكل وأنا لا أعرف سببًا لهذا الطعم المر في فمي؛ وكان صاحب العمارة يجلس أمامي وهو يأكل بنَهَم؛ سعيدًا بحضوري... قَسَم دجاجة "مُحَمَرة" تحميرًا جيدًا لنصفين، وضع نصفها أمامي والآخر بدأ في التهامه بتلذذ؛ وعندما بدأت أنا في الأكل من النصف الذي أمامي امتلأ فمي بطعم مر؛ أيُعقل أن يكون جزء من الدجاجة لذيذ الطعم في فمه؛ والجزء الآخر مرًا في فمي؟ ما هذا الذي يحدث لي؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أهي حاسة التذوق قد نضجت لديَّ الآن؛ لكن لماذا طعام هذا الرجل مرًا هكذا في فمي؟

ابتلعت بصعوبة بضع لقيمات مملوءة بالمرارة ثم تعللت بألـــم في معدتي حتى يمكنني التوقف عن تناول المزيد من الطعام المر... ثم أحضروا الشاي الذي كان هو الآخر مرًا.

عدت لشقتي مسرعًا وبمجرد أن دخلتها تقيأت على الفور كل ما أكلته في بيت ذلك الرجل... تذوقت بعض الطعام الذي كان في الشقة ولم أجد به أي طعم مر... فجلست أضع الاحتمالات للطعم المر لطعام صاحب المبنى؛ ربما كان طعامًا مسروقًا أو من مال حرام... فكما للكلمات الكاذبة رائحة كريهة فقد يكون للطعام الحرام طعمًا مرًا... ولكي أتأكد من استنتاجي هذا وفي اليوم التالي وأنا في الجامعة أخذت من حقيبة رضا دون أن أستأذنه ودون أن يراني جزءًا من أحد الساندويتشات التي كانت معه وأكلتها فكانت شديدة المرارة؛ ثم طلبت منه أي يُعطيني ساندويتشا لأني أشعر بالجوع فقدم لي كل الساندويتشات التي معه؛ فأخذت ذلك الذي أخذت منه جزءًا منذ قليل وبدأت في أكله ولم يكن به أي مرارة؛ هنا تأكدت من استنتاجي.

كم من الأسرار مدفونة في جسد الإنسان لا يمكنه اكتشافها، وكم أنا محظوظ لأن بعض هذه الأسرار قد طفت فوق سطح جسدي واستطعت استخدامها؛ وأحيانًا أتساءل؛ هل ما يحدث معي من قدرات نعمة أم نقمة؟ ولماذا أنا؟ وكيف لي أن أستخدمها في مكانها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الصحيح... أرفع وجهي للسماء وأناديه: لماذا أنا يا الله؟ وماذا تريدني أن أفعل بهذه القدرات؟

أؤمن بأن للروح قدرتها التي لا يمكن تحديدها، أما قدرة الجسد فهي محدودة، مقيدة؛ تربطها الجاذبية الأرضية بالأرض وتشد وثاقها جيدًا؛ وها هي قدراتي الجسدية تخرج عن حد المألوف، تتمدد خارج الحدود البشرية وتفاجئني بكلّ ما هو جديد وغير متوقَع.

ظللت أتابع أخبار صاحب المبنى بأذنيّ كلما سمح لي وقتي إلى أن عرفت سر طعامه المر: هذا الرجل يعمل في تجارة المخدرات ويتخذ من مقهاه غطاءً لأعماله المشبوهة؛ إذًا فقد تلوثت كل أمواله وأصبح حتى طعامه مرًا... عندما عرفت هذا كرهته وكرهت المكان الذي يجمعني به وقررت أن أبحث عن سكن آخر يكون أصحابه من ذوي الطعام الحلال.

لم يطل بحثي وعثرت على سكن ملائم حرصت على أن يكون في أعلى البناية التي سأسكنها؛ أريد مكانًا لا حاجز بينه وبين السماء... شقة صغيرة في الطابق الأخير من مبنى به ستة طوابق؛ حجرتان وصالة ومطبخ وحمام، المكان هادئ ونوافذه تُطل على السماء من كل ناحية؛ ومآذن كثيرة تُحيط به... في مواجهة هذه الشقة توجد شقة أخرى يسكنها رجل وحيد مسيحي؛ تعرفت عليه وأنا أتفحص الشقة ودعاني لكوب شاي في شقته عندما علم أني الساكن الجديد، الأستاذ "مينا"، مدرس تاريخ على المعاش ويحب الرسم؛ اسمه يفوح برائحة عبق التاريخ... شعرت براحة شديدة للمكان وللجار الذي أمامي وعلى الفور انتقلت إليه بعد أن أعلمت صاحب

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

السكن القديم الذي ثار وغضب وحاول قدر استطاعته أن يستبقيني، لكني رفضت متعللًا بأكثر من سبب.

ذهبت لعمتي أخبرها بانتقالي لسكن جديد وأعطيها العنوان؛ أعجبها المكان لأنه قريب منها؛ وسألتني واستفاضت في السؤال عن أحوالي؛ طلبت مني أن أذهب لزيارة أبي وإخوتي لكني لم أكن أستطيع؛ ما زالت زوجة أبي تقف حائلًا بيني وبين ذلك البيت.

في بعض أيام وحدتي كنت أجد نفسي رغمًا عني أفكر في أبي وإخوتي ثم يجنح تفكيري لبنت زوجة أبي "ندى"؛ في بشرتها البيضاء، عينها الرمادية اللون، ابتسامتها العذبة، وصوتها الرقيق... تُرى هل شاغبت قلبي في ذلك اليوم الذي رأيتها فيه؟ لكن كيف لي أن أفكر هكذا في بنت تلك التي تكرهني؟ وعندما تلوح لي بهذه الطريقة كنت أنفضها سريعًا من رأسي وأبتعد بتفكيري عن ذلك البيت وكلّ مَن فيه.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

٦

ستة أعوام من الدراسة الجادة العملية، المرهِقة؛ مذاكرة مستمرة وامتحانات لا تنتهي، وأخيرًا تخرجنا من كلية الطب؛ وأصبحنا في سنة الامتياز.

في هذا العام تعرفت على "هدى"؛ اسمها في حد ذاته فنار يهدي وطمأنينة طاغية... كانت تكبرني بعام وقد اختارت تخصص أطفال؛ جعلتني أحب هذا التخصص لكنه لم يكن ضمن اختياراتي لما أريد... شيء ما خفي جعلني أنجذب إليها وأعتقد أن نفس الشيء جذبها هي الأخرى ناحيتي... فكانت تتخذ المرضى من الأطفال حجة كي تتحدث معي وكذلك كنت أفعل؛ كنت بها أهتدي لطريق جديد اسمه الحب.

لاحظ رضا هذا الحب الوليد الذي يجتاحني فأخبر حسن، وفي إحدى جلساتنا المسائية سألاني عن الحكاية فلم أرد عليهما... لكن أعتقد أن صمتي وعينيّ قالوا كل شيء.

فقال رضا مازحًا:

- احذر يا صديقي فمن الحب ما قتل.

وعقب حسن قائلًا:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- ومنه ما أحيا.

ولم أقل أنا شيئًا.

أول حديث طويل لي مع هدى كان عندما سألتني عن حالة طفلة في القسم؛ وأخبرتها بأنها حالة جدري مائي؛ فقط تحتاج "كلامين" ومضاد للحساسية ومُسَكِن؛ وخلال أسبوع ستتحسن حالتها... أعجبتها إجابتي وردي السريع على تشخيص الحالة ووصف العلاج، ثم امتد بنا الحديث إلى حالة باقي الأطفال؛ وسرنا معًا حول أسِرتهم وتفقدنا كل حالة؛ تحدثنا عن أطفال البلد ثم امتد حديثنا ليشمل أطفال العالم كله... وأخيرًا ذهبنا لمكتبها وطلبت لنا كوبين من الشاي؛ وكنت في شوق لمعرفة المزيد عنها فتشجعت وسألتها:

- ماذا تقرئين يا دكتورة هدى؟

- أقرأ في تخصصي؛ ومواد الماجستير؛ ودراسة الـ...

قاطعتها قائلًا:

- لا أقصد مواد التخصص والدراسة... أقصد الكتب الأخرى، الكتب الأدبية؛ القصص والروايات.

ضيقت عينيها وهي تفكر وبدا أن سؤالي قد فاجأها، فزمت شفتيها ثم قالت:

- ربما توقفت قراءتي عند مجلة "ميكي"؛ أنا لا أحب خيال المؤلفين وشطحاتهم؛ لا أجد ميلًا لتلك الأكاذيب.

- أكاذيب؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أراهـــا كذلك؛ حتى كتب التاريخ لا تخلـــو من أكـــاذيب... لكني أحيانًا أقرأ الجرائد؛ لمجرد العلم بما يدور من حولي.

شممت رائحة كلماتها وكانت تقول أنها صادقة فيما تعتقد، لكن ما قالته عن الكتب لم يعجبني... وشعرت بمرارة لأنها لا تحب القراءة مثلي حتى إنها لم تسألني عن درجة حبي لمثل هذه الكتب... ورغم الصدمة التي تعرضت لها فقد ظل قلبي على حاله، يُبحر في اتجاهها.

رغم كوني انطوائيًا إلا أن رضا وحسن أحباني بشدة؛ تفهما طبيعتي وقبلوني على ما أنا عليه... لم أكن أشترك في الأنشطة المختلفة بالجامعة ولم أكن أحب الاختلاط بباقي الزملاء؛ دعاني حسن ذات مرة أنا ورضا لدرس ديني في المسجد فذهبنا معه؛ وكان درسًا مفيدًا للغاية... وفي مرة أخرى فوجئت برضا ونحن في سنة الامتياز يحاصرني بتذكرة حفلة غنائية بعد أن قرر أن أذهب إليها معه وهو يقول لي:

- بالطبع لن يقبل الشيخ حسن الذهاب معنا؛ وليس أمامي غيرك كي تذهب معي.

سألته عن مناسبة هذه الحفلة فقال:

- حفلة رأس السنة.

مازحته على غير العادة قائلًا:

- أللسنة رأس؟

رد بمنتهي الجدية في الحديث:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- ولها أيضًا ذيل وقدمان وعينان.

ضحكت من رده ومازحته مرة ثانية قائلًا:

- إذًا سأذهب معك في حفلة قلب السنة.

لم أستطع الفكاك من حصاره لي فذهبت... قرأت على تذكرة الحفلة اسم المطرب الذي سيُحيي الحفلة "محمد نادي"... لم يكن الاسم يُعني لي شيئًا لكن رضا أوضح قائلًا:

- هذا المطرب مشهور جدًا وصوته يُشبه تغريد السحاب.

- ماذا؟ هل يُغرد السحاب؟

- بالطبع يا صديقي... انظر... انظر هناك.

ورفع رأسه وسبابته للسماء وهو يُشير لبعض السُحب ويقول:

- في سماء مدينتنا هذه يوجد أجمل تغريد سحاب؛ ليس له مثيل في العالَم كله... هل تسمع تلك السُحب؛ تلك هناك... إنها تغرد الآن.

- وماذا تقول يا فيلسوف؟

- تقول... بعيد عنك حياتي عذاب.

ضربته بكفي على كتفه وأنا أعرف ما يقصده... وأخذ هو يضحك ويجرني من يدي حتى لا نتأخر على الحفل.

جلسنا في الصفوف الأولى من القاعة المفتوحة على سماء سوداء بنجوم لامعة ومللت الانتظار الذي تقدمته الموسيقى إلى أن ظهر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المطرب المشهور؛ وبمجرد أن رأيته اتسعت عينايّ من الدهشة؛ إنه المطرب الذي رأيته وأنا طفل صغير؛ ذلك الشاب النحيل الذي مر بي وأنا أجلس مع صديقي البقال "عم خَلَف" أمام دكانه؛ قال لنا في ذلك اليوم أنه يبحث عن حلمه في أن يُصبح مغنيًا مشهورًا، وفي طريق بحثه كان قد نفد منه كل ما معه من مال ويشعر بالعطش وليس معه نقودًا يشرب بها... يومها أحضر له البقال زجاجة ماء وزجاجة عصير لكن المغني رفض أخذهما وقال له أنه لا يقبل الصدقات، أتذكر جيدًا ما قاله، ثم إنه اقترح أن يشتري الزجاجتين بأغنية، ووافق البقال وغنى هو لنا أغنية ما زلت أتذكر كلماتها الجميلة وصوته العذب؛ كان مطلعها يقول "مشتاق والحب هاجرني"... ليته يغنيها اليوم... لم يذكر لنا اسمه يومها ولم نسأله، لكن ظلت صورته مطبوعة في ذاكرتي وكذلك صوته... ها هو قد حقق حلمه الذي كان يبحث عنه وأصبح مغنيًا مشهورًا.

واصلت التحديق مبتسمًا في شكله وصوته؛ ازداد صوته حلاوة وامتلأ جسمه النحيل وأظن أنه أصبح أطول قليلًا... في نهاية الحفل قال أنه يحب أن يختتم أغانيه بأَحب أغنية إلى قلبه؛ أغنية لها ذكرى خاصة في نفسه... وبدأ يُغني "مشتاق والحب هاجرني".

أعادتني الأغنية لجلستي المحببة مع صديقي البقال أمام دكانه؛ أعادتني لأجمل أيام حياتي؛ الأيام التي صنَعَت مني هذا الشخص الذي أصبحته؛ الشخص القادر على تخطي الصعاب بعد أن هزم الوحدة وهو ما زال طفلًا... تذكرت الكثير وأنا في جلستي تلك وترقرقت عينايّ بالدموع؛ وكانت الحفلة تصل لنهايتها والكثير من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الشباب يمدون أيديهم في محاولة للَّمس المطرب المشهور؛ تمنيت لو أستطيع أن أفعل مثلهم، أن أمد يدي فألمس الماضي الذي تجسد أمامي فجأة؛ لكن كانت يد أخرى تسحبني بعيدًا عن الزحام؛ يد رضا.

سألني رضا ونحن نغادر مكان الحفل:

- هل أعجبتك الحفلة والأغاني؟

- جدًا جدًا.

- غريب جدًا... مع أنك كنت ترفض الحضور.

لم أبح له بسر معرفتي بالمغني؛ ووجدته يسألني:

- ما هي أكثر أغنية أحببتها يا تاج في أغاني نادي؟

- "مشتاق والحب هاجرني".

- يا سيدي يا سيدي.

بعد هذه الحفلة أحببت الأغاني خاصةً أغاني "محمد نادي"... وتوسع حبي لها ليشمل مطربين آخرين؛ كنت أسهر الليالي برفقة أصواتهم... واشتريت العديد من شرائط الكاسيت وأهديت "هدى" نسخة من شريط به أغنية "مشتاق والحب هاجرني".

بعد سنة الامتياز جاء ترتيبي على الدفعة متقدمًا، كنت من العشرة الأوائل وكان رضا من الثلاثين الأوائل فتم تعييننا في أحد مستشفيات الجامعة؛ وأصبحت أنا ورضا "معيدين" في الكلية؛ أي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أنه حُكم علينا بالدراسة الشاقة المؤبدة... وجاءت سنة النيابة وبعد حيرة كبيرة وسط التخصصات المختلفة اخترت تخصص جراحة؛ واختار رضا تخصص باطنة؛ وكان حسن يسبقنا بعام في تخصص قلب وأوعية دموية... وبدأت أمارس العمل في تخصصي وفي نفس الوقت بدأت رحلة الماجستير؛ كنت أشعر بأن مشوار الدراسة لن ينتهي مطلقًا وسأظل في دراسة دائمة حتى أموت؛ ولم يكن هذا يمثل لي أية مشكلة أو عائق؛ فأنا أحب الدراسة وأصبحت منذ ذلك الوقت أحب المشرط بجانبها.

أول عملية جراحية حقيقية أجريها بمفردي كانت تحت إشراف دكتور "وجيه" رئيس القسم الذي كان يخصني بمحبة أكبر من باقي زملائي... لا أنسى لقائي الأول بعد التخصص مع دكتور "وجيه"؛ هذا الرجل له هيبة لم أجدها في أحد من قبل؛ وفي نظراته مسحة حزن لا تخطئها عين؛ كلماته قليلة لكنها مؤثرة؛ كثيرًا ما تمنيت لو أنه أبي... فيما بعد عرفت أنه فقد ابنه الوحيد بمرض في القلب لم يستطع أن يُنقذه منه؛ ما أقسى أن تكون طبيبًا ولا يُمكنك إنقاذ أقرب الناس إليك.

قال لي يوم أن دعاني لمكتبه بعد أن عرف أني من العشرة الأوائل على دفعتي الذين التحقوا بتخصص جراحة:

- يا تاج؛ تخصص جراحة ليس سهلًا... والجرَّاح الشاطر يجب أن يمتلك قلبًا من حديد وأعصابًا من فولاذ.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- سأفعل كل ما في جهدي يا دكتور وجيه؛ وأنتظر توجيهات حضرتك المستمرة ونصائحك.

- بالتوفيق دائمًا يا بني؛ وأنا تحت أمرك في أي شيء يصعب عليك أو تريد الاستفسار عنه... أتوسم فيك خيرًا يا تاج.

- أشكرك كثيرًا يا أفندم.

كانت العملية الجراحية الأولى التي أجريتها هي عملية استئصال الزائدة الدودية لفتاة في العشرين من عمرها؛ أمسكت المشرط بيدين معقمتين جيدًا وتذكرت تقدير امتياز الذي حصلت عليه؛ هل سيقف بجانبي أم أن قلبي وعقلي أهم في هذه اللحظة... كان أول قَطْع أُحدِثه بالمشرط في بطن تلك الفتاة، طبقات جدار البطن كانت تتمزق تحت سن مشرطي ثم سال الدم أمامي أحمر قاني.

تلك العملية بالنسبة لي كانت هي الأصعب على الإطلاق، بعد أن كنت أقرأ العمليات المختلفة في كتب الجراحة وأشاهد الرسومات التوضيحية لكلّ عملية؛ لكني الآن أفتح طبقات اللحم الحي، أقطع الزائدة الدودية وأخرجها، أُغلق طبقات البطن التي فتحتها، أُخيط الجلد وأُغلق الجرح تمامًا ثم أُغطيه... ممارسة عملية تختلف تمامًا عن الدراسة النظرية.

بعد إجرائي لهذه العملية الجراحية بنجاح وثناء دكتور "وجيه" على تركيزي وثبات يديّ أثناء العملية؛ أصبح مسك المشرط شيئًا عاديًا وفتح بطون المرضى شيئًا سهلًا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كلّ يوم كان يمر عليَّ في حجرة العمليات كنت أتعلم شيئًا جديدًا... كل الكتب والمراجع التي قرأتها في أعوام لم تفدني أكثر مما أفادني مسك المشرط ولون الدم... العلم الذي نتلقاه من الكتب شيء والذي نتلقاه من الحياة شيء آخر أكثر أهمية وإفادة... تعلمت من إجرائي لعدة عمليات جراحية متتالية الكثير مما لم أتعلمه خلال ست سنوات دراسة؛ فالتجربة الحية خير معلم... كانت هناك أشياء تظهر لي فجأة أثناء إجرائي للعملية ويجب أن أتعامل معها؛ أشياء لم تخبرني بها كتب الطب من قبل... في غرفة العمليات يجب أن يُحسن الجرَّاح تقدير كل شيء والتعامل معه طبقًا للموقف والحالة.

أحيانًا يتملكني الخوف وأنا أُجري بعض العمليات؛ فيتصبب العرق من جبيني ويغمر ظهري بقطراته الباردة... ماذا لو أخطأت في شيء ما فتسببت في مشكلة أكبر للمريض الذي يقع تحت رحمة يديّ؛ خطأ ما مني غير مقصود قد يُعرض حياته كلها للخطر؛ قد يموت إنسان بسببي، ما أبشعه من خاطر... وفي بعض المواقف ومن شدة الخوف كنت أتمنى لو أني لم أدخل كلية الطب؛ إنها مسؤولية عظيمة أن تكون حياة إنسان بين يديّ إنسان آخر.

ظللت أفتح أذنيّ جيدًا وأشحذ انتباهي حتى أستفيد من كل ملاحظة أو معلومة أسمعها ممَن حولي؛ أساتذتي، زملائي، الممرضات، وحتى أهل المريض... كل كلمة لها فائدة بشكل ما.

حرصت على حضور العمليات الجراحية الكبيرة التي كان يجريها دكتور "وجيه"؛ أقف على مسافة تسمح لي بأن أراقب وأتعلم؛ كان في وقفته وسط مساعديه في العملية وكأنه مايسترو يدير فرقة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

موسيقية؛ يوزع عليهم الأدوار بالإشارات والنظرات، فيقطع مشرط وتُخيط إبرة ويسيل دم؛ كنت وكأني أستمع لأحلى عزف وأعذب لحن.

أحيانًا تأتي "هدى" لقسم الجراحة للاطمئنان عليّ وكذلك كنت أفعل فتجدني أمامها في قسم الأطفال... تعددت أحاديثنا وتصارحنا بما في القلوب، وكان يجب علينا أن نضع نقاطًا أكثر وضوحًا فوق حروف حبنا الصماء.

في يوم جمعة بعد الصلاة ذهبت لبيت عمتي في أحد زياراتي لها التي أصبحت متباعدة؛ فالعمل والمذاكرة لا يتركان لي الكثير من الوقت لهذه الزيارات وهي تتفَهم هذا... حكيت لها عن "هدى" والحب الذي بيننا؛ رأيت السعادة تتراقص في قسمات وجهها الجميل؛ قامت من مكانها واحتضنتني بحب ثم سألتني إن كنت أزور أبي أم لا؛ وبالطبع لم أكن أزوره، كنت أكتفي بالسؤال عنه في التليفون فليس بي أية رغبة لدخول ذلك البيت؛ شعرَت هي بذلك من صمتي الذي طال فقامت بالاتصال بأبي تخبره بأن يحضر لأمر هام فحضر مسرعًا؛ وفوجئت بأنه سعيد لرؤيتي؛ سألني عن دراستي وعملي فأخبرته بما وصلت إليه فقال لي:

- أنا فخور بك يا تاج ولك عندي هدية جميلة؛ كنت أدخر بعض المال لك خصيصًا بعد أن اعتمدت كليًا على نفسك ولم تكن تأخذ مني شيئًا؛ هذا حقك... ومن الغد ستذهب معي لأشتري لك سيارة صغيرة تساعدك في تنقلاتك يا دكتور.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فاجأني عرضه هذا وحبه الموارى الذي لم أكن أعلم به، لم أكن أستطيع رفض هديته هذه التي عرضها عليّ بكلّ هذا الحب، وفي نفس الوقت سعدت كثيرًا بهذه السيارة التي سترحمني من عذاب المواصلات... شكرته بابتسامة كبيرة وامتنان أكبر ثم قلت له:

- لكني أيضًا كنت أريد أن أفاتحك في موضوع آخر.

ونظرت لعمتي التي كانت تعرف الموضوع الآخر؛ فاقتربت وجلست بجوارنا وبدأت هي المقدمة:

- ابنك كبر يا مراد؛ ونريد أن نذهب لنرى العروسة التي اختارها.

- وأنا آخر مَن يعلم يا إقبال؟

- لا طبعًا... لا شيء يمكن أن يتم إلا برضاك.

أضاف الخبر لأبي سعادة جديدة وقد كانت إحدى المرات القليلة التي أراه فيها سعيدًا هكذا؛ حكيت له عن هدى وأهلها وطلبت منه أن ننتظر عدة أشهر حتى يعود والدها من السفر، ثم نذهب لطلب يدها.

حياتي تحولت لسلسلة من العمل والبحث والدراسة والحب؛ حلقات متشابكة وطريق لا ينتهي.

بعد أن أصبح لي دخل مادي ثابت يمكنني الاعتماد عليه بدأت البحث الجاد عن مسكن مناسب لي أنا وهدى حتى يمكننا أن نخطو خطوات حقيقية في مسألة زواجنا... وجدت شقة ليست بالكبيرة لكنها تفي بالغرض؛ كانت في منطقة متوسطة ومبنى تحت الإنشاء؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ومبلغ مالي شهري سأدفعه لمدة عامين سيلتهم جزءًا كبيرًا من دخلي الحالي... كنت سعيدًا بعثوري على هذه الشقة التي ستكون ملكي؛ أخيرًا سأمتلك شيئًا سيكون كلّه من مالي أنا... أخبرت هدى وأخذتها وذهبت معها سعيدًا كي أُريها الشقة لكني لم أرَ نفس السعادة على وجهها؛ سألتها عن رأيها في المكان فقالت بفتور:

- جميل.

ولأول مرة منذ عرفت هدى أشم رائحة كريهة لأحد كلماتها.

أصابتني رائحة الكلمة التي لا تحمل من معناها شيئًا بالغَم؛ فهي لا ترى الشقة جميلة وتكذب عليّ... قمت بتغيير الموضوع:

- أريد أن أحضر مع أبي وعمتي لمقابلة والدك ووالدتك.

- ليس الآن يا تاج... بابا مسافر.

رائحة كريهة أخرى شممتها... لماذا تكذب عليّ هدى؛ ما الذي حدث؟ هل تحول قلبها عن حبي؛ أم لديها مشاكل أُسَرية لا تريد أن تُطلعني عليها؟ وقعت في حيرة شديدة وقررت أن أستخدم أذنيَ قدر استطاعتي لمعرفة سر هذا الكذب الذي بدأ يطلي كلماتها.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

٧

في قسم الجراحة لفت انتباهي أحد العمال ممَن يقومون بإعداد المشروبات للعاملين بالقسم، رجل كبير في السن ويعرج قليلًا بقدمه اليسرى، اسمه "جابر"، وننديه "عم جابر"؛ له نظرات كانت تخترقني وأحتار في تفسيرها... فوجدت بي الكثير من الفضول لأعرف حكاية هذا الرجل؛ تقربت منه أكثر وكلما أحضر لي شيئًا أشربه كنت أسأله عن أحواله وأحوال العمل؛ في بعض الأوقات كان يأتيني في حجرتي لمجرد إلقاء التحية أو سؤالي إذا كنت أريد أن أشرب شيئًا... ثم تطور الأمر عندما وجد بشاشة مني في الرد عليه وسألني برجاء إن كنت أستطيع مساعدته في إيجاد عمل لابنته؛ قال لي إنها أصغر بناته؛ اسمها "فراق"... شاغب عقلي الاسم بمجرد أن نطقه، ترى ما هي حكاية اسم كهذا.

حكى لي "عم جابر" أنه لديه سبع بنات؛ ظل يُنجب البنت تلو الأخرى في انتظار الولد الذي لم يأتِ؛ حتى ماتت زوجته وهي تضع البنت السابعة؛ فأطلق عليها اسم "فراق" لأنه بمولدها افترق عن أحب شيئين إلى قلبه، زوجته وحلمه في إنجاب الولد... وبعد موت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

زوجته قرر ألا يتزوج مرة أخرى وألا يفكر في الولد الذي كان يحلم به؛ قال لي:

- أصغر بناتي هذه؛ أعتبرها بألف ولد.

- كم عمرها؟

- تسعة عشر عامًا... معها الشهادة الثانوية العامة بمجموع ٩٧%

- مجموع كبير ما شاء الله... ولماذا لم تذهب للجامعة؟

- بسبب الفقر يا دكتور... نحن لا نملك نقودًا للجامعات... أرجوك أن تساعدني في إيجاد أي عمل شريف لها؛ أنا صحتي في تدهور وأخشى ألا أقدر على المزيد من العمل فلا نجد ما نأكل منه؛ وأخاف أن أموت فتضيع من بعدي فراق.

- حاضر... أعدك أني سأفكر في أي عمل يمكنني إيجاده قد يصلح لها... أين تسكن يا "عم جابر"؟

- في المقابر يا بني.

ثم استدار ليغادر الحجرة وهو يجر قدمه وحزنه... وسألت أنا نفسي؛ ترى ماذا فعل الفقر بهذا الرجل؟

أصبحت أشعر باغتراب كبير في علاقتي بهدى؛ وهي كانت تبتعد بشكل واضح؛ وفي المرات القليلة التي ذهبت فيها لقسم الأطفال كنت أراها بصحبة رئيس القسم دكتور "رياض"؛ لكني لم أدع شيطاني يُسيطر على عقلي ويملأه بالشكوك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ذهبت للمكتبة التي كنت أعمل بها في فترات الإجازة وأنا في الجامعة؛ وجدت صاحب المكتبة الأستاذ "محمد إبراهيم" ما زال بصحته وبنيانه القوي؛ ازداد شعره بياضًا وازدادت نظارته سَمَاكة... استقبلني بالأحضان الحارة والترحاب الشديد؛ تسامرنا حول كتاب كما كنا نفعل ثم حدثته عن "فراق" التي أبحث لها عن عمل ولم أجد أفضل من المكتبة؛ استغرب اسم الفتاة فأخبرته بقصة أبيها فقال لي:

- كلّ ما يأتي من ناحيتك يا تاج فهو جميل... اطلب منها أن تحضر في أقرب وقت وأتمنى أن تُصبح يومًا ما ذراعي اليمنى في المكتبة كما كنت أنت... لم يعجبني أحد ممَن عملوا من بعدك هنا؛ فكنت لا أستبقي أيًا منهم أكثر من شهر ثم أبحث عن غيره... إن لم تكن تحب القراءة فلن يحبك مكان كهذا حوائطه من كتب وأعمدته من كلمات... أتمنى أن أجد في فراق ما وجدته فيك.

- أنا لم أرها بعد لكن قلبي يحدثني بأنها تستحق هذا المكان وتستحق العمل معك.

- على بركة الله.

في اليوم التالي ذهبت سعيدًا للمستشفى لكي أزف بشرى هذا العمل لعم جابر، لكنه لم يحضر في ذلك اليوم، ولم يحضر في اليوم الذي يليه، ولمدة أسبوع كامل كان منقطعًا عن العمل... شعرت بالقلق عليه فأخذت عنوانه من مكتب شئون الأفراد وقررت أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أذهب للسؤال عنه؛ قرأت العنوان الذي بدا واضحًا "مقابر شرق"، "مدفن الشيخ راضي"؛ وكأنني رأيت هذا الاسم من قبل لكن لم أكن أتذكر متى أو أين.كم هو مؤلم أن تكون المقابر عنوان لبعض الأحياء؛

عنوان لن يقوموا باستبداله بآخر بعد موتهم.

كان زواج رضا قد اقترب وانشغلت أنا وحسن معه في الترتيبات النهائية للزواج ونسيت "عم جابر" وابنته لمدة أسبوعين تقريبًا... لم تحضر هدى حفل زواج أقرب أصدقائي إليّ ولم أسألها أنا عن السبب؛ خشيت أن أسمع منها كذبة جديدة.

بعد زواج رضا وسفره مع عروسه لقضاء شهر العسل ذهبت بسيارتي البيضاء الصغيرة؛ وبحثت عن "مقابر شرق" حتى وجدتها؛ أوقفت العربة على مسافة قريبة منها ونزلت أمشي في طرقاتها بحثًا عن أحد يدلني على مكان "عم جابر"؛ وجدت بعض الأطفال يلعبون الكُرة فسألتهم عن "مدفن الشيخ راضي"؛ فقادني أحدهم للمكان فتبعته... مشيت وراءه إلى أن اقترب من "المدفن" الذي يوجد بداخله بعض الحجرات المتراصة بجوار بعضها البعض، وأشار لي في اتجاهه ثم تركني وذهب... اقتربت من تلك الحجرات وأنا لا أعرف أيًا منها هي حجرة "عم جابر"؛ كانت هناك سيدة كبيرة في السن ترتدي جلبابًا أسود اللون تجلس على عتبة أحد الحجرات وتنظر في وجوه المارة؛ وفي تلك اللحظة كانت تنظر بتركيز في وجهي فسألتها عن حجرة "عم جابر" فأشارت في اتجاه الحجرة المجاورة لها؛ فمشيت إليها وطرقت الباب.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فتحت الباب فتاة جميلة؛ صغيرة الحجم دائرية الوجه متقدة العينين ترتدي ملابس بسيطة؛ أيُعقل أن تكون هذه فراق؟ إنها أصغر من كونها أنهت الثانوية العامة... تنحنحت وسألتها:

- "عم جابر" موجود؟

- أبويا مريض وفي الفراش... مَن أنت؟

- دكتور تاج من المستشفى التي يعمل بها والدك.

ظهرت عليها علامات الفرح والترحاب وهي تُفسح لي طريق الدخول وتقول:

- أهلًا أهلًا يا دكتور... تفضل... شرفتنا.

- هل أنتِ فراق؟

- نعم أنا فراق.

- شكلك أصغر من سنك بكثير يا فراق.

تبسمَت ولم ترد بشيء... كان المكان عبارة عن حجرة واحدة مقسومة نصفين ببعض الأقمشة؛ وفي النصف الداخلي منها يرقد "عم جابر" وقد بدا عليه التعب والشحوب؛ أراد أن يقوم من مكانه عندما رآني لكني طلبت منه ألا يتحرك:

- سلامتك يا "عم جابر"... أنا قلقت عليك عندما تغيبت هكذا فجأة.

- تسلم يا دكتور... لماذا تعبت نفسك يا بني وحضرت؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- لقد وجدت عملًا لفراق وأريدها أن تذهب لاستلامه.

اعتدل في جلسته قليلًا وقد ملأته السعادة:

- صحيح يا دكتور؟ يا رب يكرمك وتصبح أفضل دكتور في العالَم كلّه.

- في العالَم كلّه مرة واحدة يا "عم جابر".

- تستأهلها يا بني.

حضرت فراق التي كانت قد اختفت منذ أن دخلت لنصف الحجرة التي يرقد فيها "عم جابر" وكانت تحمل في يدها صينية صغيرة عليها زجاجة مشروب غازي مثلجة تتكسر قطرات الماء على سطحها الخارجي؛ قدمتها لي مع ابتسامة جميلة؛ فأخبرها أبوها بفرحٍ طاغٍ بالعمل الذي وجدته لها فاتسعت ابتسامتها وتمتمت تشكرني... شرحت لها الطريق للمكتبة وطبيعة العمل بها؛ أخبرتها أن صاحبها الأستاذ محمد إبراهيم رجل محترم وطيب القلب وأنني قد عملت معه في نفس المكتبة فترة معينة من حياتي... كنت أرى السعادة مجسدة في عينيهما؛ ما أروع هذا الإحساس عندما نراه ماثلًا أمامنا متجسدًا في عينين... ثم سألتها:

- هل تحبين الكتب يا فراق؟

- كما أحب نفسي.

وأكمل "عم جابر" قائلًا:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- لا تتوقف عن القراءة؛ قرأت كل كتب المكتبة في المدرسة؛ وإن كانت تملك نقودًا لأضاعتها على الكتب... أنا لم أقرأ كتابًا واحدًا في حياتي وهي لا تتوقف عن القراءة.

أسعدتني هذه الكلمات عن فراق؛ فأنا أحب كل مَن يحب القراءة؛ وبعملها في المكتبة ستكون الشخص المناسب في المكان المناسب؛ وأخيرًا سيجد أستاذ محمد إبراهيم بديلًا لي.

تركتني مع أبيها وذهبت للنصف الأول من الحجرة؛ فاعتدل "عم جابر" أكثر في جلسته فوق السرير متكئًا بظهره على حائط من الطوب الذي لا يُغطيه شيء؛ تناول كوب الماء الموضوع على منضدة صغيرة بجواره، شرب منه قليلًا وقال:

- الآن يمكنني أن أموت وأنا مطمئن؛ فراق بنت طيبة وقد ربيتها على الأخلاق الحسنة وعِفة النفس؛ يمكنها بالمبلغ الذي ستتقاضاه من عملها في المكتبة أن تعيش مستورة ولا يضطرها الاحتياج أن تمد يدها أو جسدها لأحد... بناتي الست الأخريات تزوجن وانتشرن في البلاد مع أزواجهن وأبنائهن ونسوا أيام الفقر والعذاب، ونسوني أنا وأختهم يا دكتور؛ لكني لست غاضبًا منهن فأنا لم أنسَ؛ وهن صغار كنت أجعلهن يطفن بالمقابر؛ يمددن أيديهن للصدقات والإحسان؛ ويعدن بقليل من المال وبعض الخبز؛ مَن يستطيع الخروج من هنا عليه ألا يعود إلا وهو جثة تحتاج لقبر.

سكتَ قليلًا ثم أضاف:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أنا في شبابي كنت حفَّار قبور إلى أن خذلتني صحتي وساقي التي فقدتها في شجار.

أزاح الغطاء الذي كان عليه فرأيت قدمًا واحدة فوق السرير؛ والأخرى يحتل مكانها الفراغ... وبجوار السرير لمحت قدمًا صناعية تقف وهي متكئة على الحائط؛ لم أكن قد لاحظت من قبل أنه ذو قدم صناعية لأنه كان يرتدي عليها حذاء ولم أدقق النظر فيه كثيرًا... عاد ليشرب بعض الماء مرة أخرى وأكمل حديثه الذي لم أكن أرغب في أن أقطعه؛ لكني حرصت على أن أشم رائحة كلماته التي يقولها وكانت صادقة تمامًا؛ ذكية الرائحة:

- موت أم البنات كسرني؛ كانت سندي؛ لم أحب أحدًا في حياتي كما أحببتها؛ لا تستغرب كلامي يا دكتور؛ حتى حفاري القبور لهم قلوب ويعرفون الحب.

- حتى أعتى المجرمين لهم قلوب يا "عم جابر" ويعرفون الحب... لكن قل لي كيف استطعت العمل في المستشفى؛ وأنت...

- وأنا أعرج هكذا؛ قلها ولا تخف... لعملي في المستشفى قصة طويلة؛ ولا أريد أن آخذ من وقتك.

- لا عليك أنا أحب أن أسمع حكاياتك.

- كنت أذهب للمقابر الأخرى؛ خاصةً مقابر الأغنياء؛ لم يكن بمقدوري الحفر لكني كنت أساعد في الأعمال الأخرى مثل تنظيف الأحواش وإنزال الميت للقبر ورش المقبرة بالماء بعد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

الدفن وغيرها من الأعمال؛ ومنذ حوالي عامين وفي يوم شتوي بارد كنت أسير في طرقات بعض مقابر الأغنياء وقد كانت خالية إلا من بعض القطط والكلاب، عندما لمحت سيدة كبيرة في السن بعض الشيء تتكئ على حائط أحد المقابر من الخارج؛ بدت وكأنها كانت في زيارة ميت يخصها؛ شعرت بها تكاد أن تقع على الأرض من فرط الإعياء البادي عليها فاقتربت منها وسألتها: "أي خدمة يا هانم؟"... قالت لي في إعياء تام: "سيارتي أركنها قريبًا من هنا... هل ممكن أن تساعدني حتى أصل إليها؟"... وبالفعل جعلتها تستند على ذراعي حتى أوصلتها للسيارة، ولم تكن في حالة تسمح لها بالقيادة، ولم أكن أنا أستطيع القيادة أساسًا فأحضرت لها تاكسي ولم أتركها حتى أوصلتها إلى بيتها الذي يقع في حي سكني من أحياء الأغنياء؛ حاولَت أن تعطيني نقودًا لكني رفضت؛ فطلبت مني أي خدمة قد تؤديها لي فوجدتها فرصة أن أسألها عن أي عمل يمكنني أن أعمله... هذه السيدة يا دكتور هي زوجة دكتور وجيه رئيس القسم؛ وبتوصية منها استطعت أن أعمل عامل تنظيف مؤقت بالمستشفى... ربك لما يريد يا دكتور.

تركت بيت "عم جابر" متمنيًا له الشفاء وخرجت من هناك وفي أذنيّ ظلت ملمس كلماته الأخيرة لي "ربك لما يريد يا دكتور".

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

٨

عاد رضا للمستشفى من أجازة الزواج واستقبلناه بفرح شديد، وبعد عودته بعدة أيام حضر لمكتبي وقال لي أن هناك قريبًا لزوجته يريدني أن أرى بعض الأشعة له ويريد توقيعها من المستشفى؛ قلت له مازحًا وبنفس أسلوبه:

- ها قد بدأت العروس الجديدة تستغل مكانتك وأصدقاءك أيضًا.

- ماذا قد أفعل غير الطاعة يا صديقي... أردها لك في القريب العاجل.

- لا أعتقد أنه قريب أو حتى عاجل.

- أنا ألاحظ هذا وأنت لا تتكلم.

- ليس لديّ ما أقوله الآن.

لم يُلح عليّ لمعرفة شيء لا أريد قوله وتركني وذهب ليُرسل لي قريب زوجته الذي كان يشكو من آلام في رأسه، وبمجرد أن بدأ يتحدث ويُعدد لي أعراض مرضه شممت رائحة كريهة تخرج مع

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كلماته وعرفت على الفور أنه يكذب... لكن لماذا يكذب شخص ما في المرض؟ طلبت منه أن أرى صور الأشعة والتحاليل التي معه والتي أكدت لي أنه بالفعل مريض؛ فشعرت بالارتباك؛ هل فقدت قدرتي على شم الكلمات أم ماذا حدث... واجهته بقوة قائلًا:

- هذه الأشعة والتحاليل ليست صحيحة... أنت لست مريضًا.

ارتبك أمام القوة التي نطقت بها كلماتي وقال لي:

- كيف عرفت؟

لم أكن أعرف ماذا أقول له لكني قلت في محاولة مني للتأكد من قدرتي على شم رائحة الكلمات؛ وتأكيد كذبه أو صدقه:

- حجم الرأس في الأشعة مختلف عن حجم رأسك... هذه الأشعة ليست لك.

ازداد ارتباكه وأخرج منديلًا من جيبه مسح به قطرات العرق التي نبتت فوق جبينه وقال لي برجاء:

- أرجوك يا دكتور لا تخبر أحدًا بهذا، خصوصًا دكتور رضا... هي بالفعل ليست لي.

- لكن لماذا تفعل هذا؟

لم يرد عليّ بشيء وأخذ الأشعة والتحاليل من يدي وذهب مسرعًا ولم أره مرة أخرى... كنت حزينًا من أجله ولا أدري ما الذي دفعه لكذبة كهذه، وكنت سعيدًا مزهوًا بقدرتي الشَمية التي تُعري لي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الأكاذيب أيًا كانت، أما الحيرة فقد ملأتني، هل أُخبر رضا بهذا أم أكتفي بما عرفت وأحتفظ به لنفسي؟ واكتفيت.

بعد انتهاء عملي في ذلك اليوم ذهبت للمكتبة كي أعرف أحوال فراق في العمل؛ لم يكن أستاذ محمد هناك وكانت فراق خلف مكتب الاستقبال تقرأ في كتاب لا بد أنها أخذته من الرف الزجاجي؛ فأستاذ محمد على عهدي به لا يسمح لأحد بقراءة الكتب التي يبيعها... وبمجرد أن دخلت المكتبة رأتني فراق فأغلقت الكتاب الذي كان في يدها ووقفت لاستقبالي... كانت كما رأيتها أول مرة؛ بسيطة في ابتسامتها وملبسها:

- كيف الحال يا فراق؟

- الحمد لله يا دكتور.

- هل أحببتِ العمل هنا؟

- ليس للفقراء رفاهية أن يحبوا أو أن يكرهوا.

- لا تقولي هذا؛ كلنا فقراء بشكل ما.

ابتسمَت لي دون أن تُضيف شيئًا؛ فقلت لها:

- أردت الاطمئنان عليكِ وعلى صحة "عم جابر".

- أبي استسلم للمرض؛ كل يوم صحته أسوأ مما سبق؛ وكأنه كان يقاوم المرض حتى أحصل على عمل.

- وأنتِ يا فراق؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أنا أفضل مما كنت... فأنا أحب القراءة منذ صغري وقرأت كل ما في مكتبة المدرسة الابتدائية والإعدادية من كتب؛ وفي الثانوية قرأت معظم ما كان في المكتبة؛ روحي كانت مسجونة في المقابر والقراءة حررتها؛ لولا قراءتي للكتب لكانت روحي قد ماتت منذ زمن بعيد وتحول جسدي لقبر دائم لها... الأستاذ محمد سمح لي أن أقرأ كل ما أريده من الرف الزجاجي فقط، أحيانًا أتمنى قراءة كتاب جديد حضر للمكتبة لكني لا أستطيع؛ أشعر بأني على مائدة مليئة بكلّ أنواع الأطعمة؛ وليمة أكبر من قدرتي على التهام الطعام؛ أكبر حتى من جوعي؛ لكني لا أستطيع أن أمد يدي لكلّ ما هو معروض أمامي على هذه المائدة.

كانت تتكلم بتدفق وسلاسة وكأنها تنتظر أحدًا أن يسألها عن علاقتها بالكتب فتقول ما في قلبها عنها... جاءت كلماتها رقيقة تشبه "الدانتيلا"، عطرة وكأنها زهور الياسمين، مؤثرة كسهم نافذ؛ نفذ لقلبي واستقر به... فابتسمت منتشيًا بعطر كلماتها وأنا أقول لها:

- جميل يا فراق وصفك للأشياء؛ ورائع تعبيرك عن أن الجسد من الممكن أن يصبح مقبرة للروح؛ يبدو أن القراءة صنعت منكِ فيلسوفة.

- حامل الورد يجب أن تفوح منه بعض رائحته.

- أول مرة أسمع هذا المَثَل... مَن قائله؟

- إنه من تأليفي.

ضحكت لها وأضفت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أنا أيضًا من محبي القراءة؛ أقرأ منذ كنت طفلًا صغيرًا.

- يقولون أن مَن يقرأ كثيرًا يكون لديه ميل قوي للكتابة؛ فهل كتبت شيئًا بعد كل هذا العمر من القراءة؟

- أكتب لنفسي أحيانًا... لكني لم أجد بعد ما يستحق الكتابة عنه كي أُخبر به الآخرين.

عادت لصمتها وتبسمها؛ وكانت لكلماتها رائحة أجمل من كل روائح الكلمات الأخرى التي سمعتها من قبل؛ رائحة تمنيت لو أستنشقها كل يوم... انتزعت نفسي من سِحر رائحة كلماتها وسألتها:

- وأنتِ يا فراق؛ هل تكتبين؟

- أكتب لنفسي فقط؛ ليس لديّ الشجاعة كي أواجه أحدًا بكتاباتي.

- ربما واتتكِ هذه الشجاعة يومًا.

- وأنا صغيرة كان هناك ولد في المدرسة يتعمد مضايقتي وأحيانًا ضربي؛ لم أكن أستطيع فعل شيء له أو حتى أن أشكوه لأحد لأني كنت بنت حفار القبور؛ الذي لا يخشاه أحد؛ فكنت أنتقم منه بأن أشوهه بالكتابة.

- كيف هذا؟

- كنت أُحضر ورقة بيضاء وأبدأ في الكتابة عنه؛ أصفه بأوصاف بشعة وأمزق له ملابسه وأشد شعره ثم أبصق عليه، كل هذا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بالكلمات... أشعر بعد ذلك براحة كبيرة وكأنني صفعته على وجهه.

- الكتابة كانت تحررك من الغضب والضعف وأنتِ لا تشعرين.

- نعم... هي دائمًا ما تفعل هذا لمَن يفهمها.

- نعم يا فراق... لمَن يفهمها.

كانت فراق الشخص المناسب في المكان المناسب؛ أفضل خليفة لي قد يجده أستاذ محمد إبراهيم... تجولت في المكتبة واخترت كتابين دفعت ثمنهما وتركت فراق لما كانت تقرأ وذهبت... وفي طريق عودتي للمنزل في سيارتي الصغيرة التي أعتبرها كتاب يمشي على أربع عجلات؛ تحملني بين البشر والأماكن؛ تطوف بي داخل حكايات عديدة؛ وجدت نفسي في طريق عودتي أفكر في فراق... في الرضا الذي تتمتع به؛ بنت مثلها وبذلك المجموع الكبير الذي حصلت عليه في الثانوية العامة كانت ستتمنى أن تكون الآن في الجامعة وليست تعمل في مكتبة؛ كانت ستكون ساخطة على الناس والعالَم والفقر الذي هو من نصيبها؛ لكنها رغم كل هذا ليست كذلك؛ تواجه كل شيء بابتسامة.

جاءتني فكرة أن أساعد فراق في أن تُكمل تعليمها؛ لكن هل ستقبل؟ وكيف يمكنني إقناعها بهذا... ظللت أتجول بالسيارة في الشوارع وأنا أفكر في طريقة أستطيع بها أن أجعلها تدخل الجامعة وتُكمل تعليمها؛ قلبت كل الاحتمالات ووضعت كل النظريات إلى أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وجدتها؛ طريقة مضمونة وسأعمل جاهدًا على إنجاحها... كنتُ سعيدًا بأنني وجدتُ طريقًا أجعلها من خلاله تقبل مساعدتي.

في اليوم التالي أنهيت عملي في المستشفى وذهبت للمكتبة وكانت فراق تبيع بعض الكتب لشخص ما؛ تجولت بين الكتب إلى أن انتهَت وخرج ذلك المشتري، ثم اقتربت مني بابتسامتها وهي تقول:

- أهلًا يا دكتور تاج... ما هي أخبار حضرتك؟

- الحمد لله رب العالمين... كأحسن ما أكون.

- الحمد لله.

- قولي لي يا فراق؛ ما هي الكلية التي كنتِ تحبين أن تُكملي تعليمك بها؛ المجموع الذي حصلتي عليه في الثانوية العامة يؤهلك لكليات القمة.

- الهندسة... كنت أتمنى أن أدرس الهندسة؛ إنه أحد أحلامي التي لن تتحقق.

- يمكنك أن تحققيه... أنا أريدك أن تذهبي للجامعة وتُكملي تعليمك.

- كيف هذا يا دكتور؟ أولًا العام الدراسي الأول قد قارب على الانتهاء؛ ثانيًا ليس لديّ مصاريف التعليم في كلية كهذه تحتاج للكثير من النقود.

- أنا سأساعدك على هذا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

رفعت حاجبيها واتسعت عينيها عند سماعها كلماتي هذه وقالت:

- هل يمكنك أن تجد لي طريقًا للتعليم المجاني؟

- لا شيء مجاني في هذه الدنيا حتى وإن بدا كذلك... سأعطيكِ أنا مصاريف التعليم بشرط أن آخذ منكِ مقابلًا لنقودي.

تجهم وجهها للمرة الأولى منذ عرفتها وقالت:

- ماذا تقصد؟ ليس لديّ شيئًا لأبيعه.

- بل لديكِ... أيامك.

بحاجبين منعقدين ضيقت عينيها وهي تقول:

- لا أفهم.

- كما تعرفين أنا أحب القراءة جدًا؛ ومنذ كنت صغيرًا وأنا أقرأ كتب الآخرين التي كتبوها لكلّ مَن يريد قراءتها؛ لا أحد من هؤلاء الكُتَّاب يعرفني أو خصني بشيء في كتاباته... وكثيرًا ما أشتاق لكي أقرأ كلمات كُتبت لي أنا؛ أنا وحدي؛ لدرجة أني كنتُ أحيانًا فيما مضى أكتب خطابات لنفسي.

- ما زلت لا أفهم... أرجوك وضح أكثر من هذا.

- مقابل مصاريف تعليمك في كلية الهندسة سيكون هو أن تكتبي لي.

- أكتب لك ماذا؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أي شيء تريدين قوله؛ عنكِ؛ عني؛ عن العالَم... المهم أن تكون كلمات موجهة لي أنا؛ أنا فقط؛ هذا هو شرطي فيما ستكتبين.

صمتت ونظرت للأرض وهي تفكر فيما أقول؛ ربما كانت تقول لنفسها أيضًا؛ ما هذا المجنون الذي يقف أمامي؟ ثم رفعت وجهها وقالت:

- أنا لم أكتب لأحد من قبل إلا لنفسي.

- اعتبريني نفسك واكتبي لي.

صمتت مرة أخرى واعتبرت أنا صمتها هذا إجابة بالموافقة.

بعد حديثي هذا مع فراق انشغلت في أشياء كثيرة أنستني حتى نفسي؛ لكني تذكرت فراق في أحد الأيام وأنا عائد من نوبة عمل مسائية في المستشفى وكان الوقت ضحى؛ فاتجهت بالسيارة للمكتبة... وجدتها تجلس هناك تحدق في كومة كتب أمامها... كانت تبدو جميلة في الرداء الأسود الذي ترتديه:

- أهلًا يا فراق؛ لماذا تلبسين أسود؟

- أبي يا دكتور.

ثم بدأت تبكي:

- لا إله إلا الله... متى حدث هذا؟

- من حوالي ثلاثة أسابيع.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- البقاء لله يا فراق؛ الله يرحمك يا "عم جابر".. لم يبلغني أحد في المستشفى بهذا الخبر.

- الفقراء أمثالنا لا يعلم بموتهم أحد ولا حتى بحياتهم.

- تماسكي يا فراق... أنتِ أقوى من هذا.

- لقد كان الوحيد الذي بقيّ لي بعد أن استقلت كل أخت من أخواتي بحياتها وابتعدت... لم يتبقَ لي أحد.

- الحياة ما زالت أمامك يا فراق... العام الدراسي قد قارب على البدء؛ وأريدكِ أن تستعدي له جيدًا.

- أما زلت مُصرًا على هذا يا دكتور؟

- كلّ الإصرار.

صمتت ولم تقل شيئًا فأضفت:

- اسمعي؛ أنا لديّ أجازة غدًا من المستشفى؛ وأريدكِ أن تأخذي إذنًا من أستاذ محمد بأنكِ ستتغيبين عِدة ساعات في الصباح من المكتبة.

- لماذا؟

- سنذهب في مشوار هام.

- إلى أين؟

- ستعرفين في الغد عندما أمر عليكِ هنا في تمام العاشرة صباحًا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إنه أول يوم أجازة آخذه منذ فترة طويلة؛ لذلك قررت ألا عمل أو دراسة في هذا اليوم... استيقظت في حوالي السابعة صباحًا نشيطًا ومبتهجًا؛ نظفت أسناني وحلقت ذقني ثم أخذت حمامًا باردًا فزاد من انتعاشي... تناولت إفطارًا خفيفًا وفتحت النافذة وجلست أمامها أشرب الشاي وأقرأ الرواية القصيرة (صمت البحر)... كانت الساعة حوالي التاسعة عندما وصلت لنصف الرواية وقمة الصمت؛ فتركتها حتى أكملها في المساء ثم ارتديت ملابسي وذهبت للمكتبة... كان أستاذ محمد هناك منهمكًا في ترتيب بعض الكتب؛ ألقيت عليه السلام واستأذنته في أخذ فراق من المكتبة لعدة ساعات، فسمح لي وواصل ما كان يفعله... اقتربت من فراق التي كانت تجلس في انتظاري وسألتها:

- هل معكِ بطاقتك الشخصية؟

- نعم معي.

- إذًا هيا بنا.

- ألن تخبرني أين سنذهب؟

- سأخبركِ عندما نركب السيارة.

شعرت بها خائفة مترددة؛ فسألتها:

- ألا تثقين بي؟

- بالطبع أثق بك.

- إذًا هيا بنا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ونحن في السيارة أخبرتها بأننا سنذهب لأحد البنوك لأفتح لها حسابًا به حيث سأضع لها فيه كل ما ستحتاجه من مصاريف للدراسة في كلية الهندسة... وسأستخرج لها بطاقة بنكية يمكنها بها أن تقوم بسحب النقود التي تريدها من أي ماكينة صرافة وقتما تريد... كانت ما تزال تشعر بالحَرَج وتواجه كل هذا بصمت ظاهري على السطح بينما في الأعماق غليان يفور... بعد قليل من الوقت كسرَت صمتها وتمتمت بكلمات شكر خجلة؛ شكرها ذاك لم أكن في حاجة إليه.

بعد أن أنهينا إجراءات البنك؛ أخبرتها بأني سأدعوها على الغداء؛ قالت لي أنها لا تريد أن تتأخر عن موعد عودتها للمكتبة؛ وقبل أن أسمع أي أعذار أخرى قمت بالاتصال بالأستاذ محمد وأخبرته بأنها لن تحضر اليوم لتأخرنا بالخارج؛ لم يمانع فشكرته وأنهيت الاتصال وأنا أنظر إليها... ابتسمت ولم تقل شيئًا وانطلقت أنا بالسيارة.

أخذتها لأحد المطاعم... وجدتها تائهة في قائمة الطعام فأخذت أقترح عليها بعض الأطباق التي أعرف أنها جيدة فاختارت (طبق مشويات)... ثم قالت لي:

- هذه هي أول مرة أدخل فيها مطعمًا كهذا.

ثم سألتني:

- بالنسبة لسداد ديوني لك بالكتابة... هل تريدني أن أكتب لك كل يوم أم ماذا؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- لن أقيدكِ بوقت معين؛ ولا بطريقة معينة في الكتابة... اكتبي لي وقتما تشائين وكيفما تشائين.

ثم كتبت لها على ورقة عنواني المفصل في المستشفى وقلت لها:

- أرسلي لي ما تكتبينه في ظرف على هذا العنوان؛ وأنا سأضع من وقت لآخر نقودًا في حسابك يمكنكِ أن تأخذي منها ما تشائين... ولن نلتقي مرة أخرى إلا بعد أن تظهر نتيجة العام الأول لكِ في الكلية... اتفقنا؟

لم أكن أريد أن أضع عليها قيودًا بظهوري أمامها من وقت لآخر، ففضلت الابتعاد... ابتسمت وهي تأخذ الورقة التي بها العنوان من يدي وتقول:

- اتفقنا.

بعد الغداء أوصلتها حتى حجرتها بالمقابر ولا أدري لماذا في تلك اللحظة تذكرت الطفلة الصغيرة التي دلتني على مقبرة أمي منذ أعوام طويلة؛ تلك الطفلة التي تبعتها بعينيّ إلى أن دخلت حجرة في أحد المدافن وتسللت أنا بعينيّ من نافذة الحجرة لأراها تجلس على الأرض تقرأ في كتاب ما... هل يُعقل أن تكون تلك الطفلة كانت هي فراق؟ لمَ لا؟ الدنيا صغيرة؛ أصغر مما نتخيل.

انتبهت من أفكاري على صوت فراق تقول لي وهي تنزل من السيارة أنه كان يوم من أسعد أيام حياتها ثم أكملت جملتها القصيرة بالصمت وذهبت.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في المساء استكملت قراءة الرواية التي كنت قد بدأتها في صباح ذلك اليوم (صمت البحر)؛ وأسرني ذلك الصمت البليغ في تلك الرائعة الأدبية؛ كنت أقرأ أعلى مراتب الصمت وأرقاها... جسدت الرواية بمنتهى الروعة كيف يكون مقاومة المحتَل بالصمت؛ ويا له من سلاح قوي... كتب هذه الرواية القصيرة رسام ونحات فرنسي خلال الحرب العالمية الثانية وهي عمله الأدبي الأول ونشرها تحت اسم مستعار "فيركور"... كم هي رائعة تلك الأعمال التي تخرج من تحت عباءة الألم.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

٩

كان يومًا مشمسًا شديد الحرارة ذلك اليوم الذي قلب حياتي رأسًا على عقب؛ ذلك اليوم الذي أخرجني عن الطريق الذي كنت أسير فيه مطمئنًا سعيدًا ليُلقي بي في أحضان المجهول... في ذلك اليوم جاءتني سيدة في حوالي الخمسين من عمرها، قالت لي أنني ربما لا أتذكرها؛ لكني كنتُ أتذكرها جيدًا؛ إنها الممرضة "وفاء" التي كانت تعطي الحقن لأمي في مرضها الذي ماتت به.

جلسَت أمامي مبتسمة تملأ عينيها من الطفل الذي أصبح رجلًا، وظللتُ أنا أرقبها؛ تمامًا كما كانت، ضئيلة الحجم مع بعض البَدانة التي أصابتها مع مرور الزمن؛ ما زالت تحتفظ بنفس العينين الهادئتين اللتين أحاطتهما الآن بعض التجاعيد؛ قالت وهي تتفحصني هي الأخرى لتقارن بين الطفل الذي كنته والرجل الذي أصبحته:

- سألت عنك في بيتكم فأعطاني أبوك عنوان المستشفى التي تعمل بها؛ فجئت إليك على الفور.

- أهلًا وسهلًا... أتشرف بكِ في أي وقت.

- معي أمانة أحفظها لك من أكثر من عشر سنوات.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أمانة؟ من مَن؟

- من المرحومة رجاء... أمك.

تحرك شيء ما في قلبي عندما ذكرت أمي؛ ومرت على الفور في رأسي صورتها والسرطان يأكلها يومًا بعد الآخر... أخرجتني السيدة "وفاء" من ذكرياتي وأخرجت من حقيبة يدها ظرف خطاب أبيض بهتت ألوانه قليلًا؛ وضعته أمامي وهي تقول:

- قبل أن تموت أمك بأيام وفي إحدى المرات وأنا أعطيها الحقنة اليومية أعطتني هذا الظرف وحملَّتني أمانة ألا يرى أحد غيرك هذا الظرف وألا أعطيه لك إلا بعدما تتخرج من الجامعة... لا أعرف ما فيه ولم أسألها، ولم أستطع وقتها أن أرفض حَمْل أمانة إنسانة تموت.

شممت الكلمات التي تخرج من فم الممرضة "وفاء" فوجدت رائحتها عطرة ذكية؛ فتيقنت الصدق فيما تقول لكني لم أكن أدري ماذا يمكن أن يحمل ظرف كهذا بداخله... وما هذا الذي تريدني أمي أن أعرفه بعد موتها بحوالي ثلاثة عشر عامًا... أيُ سرٍ هذا الذي ينام أكثر من عِقد بأكمله داخل ظرف خطاب.

كانت السيدة "وفاء" تنظر لعينيّ مباشرةً وكأنها تقيس درجة تأثري بما أسمع، ثم وقفت كي تغادر بعد أن أدت الأمانة التي حملتها أعوامًا طويلة... مدت يدها لتصافحني وعندما التقت يدي بيدها أصابتني مفاجأة لم أكن أتوقعها، لقد رأيت ما كانت تفكر فيه؛ كانت تفكر في صورة أمي وهي نائمة على فراش مرضها؛ أنا أعرف هذه الصورة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

جيدًا... وعندما سحبت يدها من يدي انقطعت الصورة عن رأسي... يا إلهي؛ حاسة اللمس أخيرًا تُفصح عن نفسها وتُخبرني بأنه يمكنني بلمس الآخرين أن أعرف فيما يفكرون.

شكرتها بشدة وأنا في غمرة ارتباكي باكتشافي لقدرة جديدة تُضاف لقدراتي الأربع؛ ثم سرت معها حتى باب الحجرة وعدت، لأواجه الظرف الذي ينتظرني بسره كل هذه الأعوام... لم أستطع فتحه وسط يومي المزدحم بالعمل فوضعته في حقيبتي وأكملت عملي مُقسِمًا تفكيري بين قدرتي الجديدة التي أفصحت عنها حاسة اللمس وبين السر الموجود في الخطاب بداخل الحقيبة... وأول مريض دخل للحجرة ببعض الأشعة كان طفلًا صغيرًا مع أبيه، قمت بإمساك يده وكأني أقيس له النبض وفي الحقيقة كنت أريد أن أعرف فيما يفكر وأختبر بهذا قدرتي الجديدة... كان الطفل يُفكر في كوب كبير من "الأيس كريم"... إذًا فلقد أصبحت كامل القدرات بحواس خمس غير طبيعية.

أسرعت باكتشافي الجديد لقسم الأطفال وتعمدت أن أُسلم بيدي على هدى لأرى فيما تُفكر؛ استبقيت يدها في يدي لحوالي دقيقة رأيت فيها ما كنت أريد معرفته؛ كانت تضع صورتي بجوار صورة رئيس قسم الأطفال دكتور رياض؛ لماذا كانت تضعنا معًا في وقت واحد في رأسها؛ قالت لي وهي تسحب يدها من يدي:

- تاج... كنت أريد الحديث معك في موضوع هام.

لم أكن في حاجه لسماع شيء في ذلك الوقت؛ فقلت لها:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أنا مشغول جدًا الآن؛ لدي عملية في الانتظار؛ فقط كنت مارًا من هنا وأحببت أن أطمئن عليكِ.

تركتها وذهبت مسرعًا قبل أن تُضيف شيء وأنا يتجاذبني أكثر من احتمال ويهدم أحلامي أكثر من خاطر.

أنهيت العملية الجراحية التي كانت عملية مرارة لرجل في الأربعين من عمره ثم ذهبت مُسرعًا للبيت... فتحت النافذة وألقيت نظرة سريعة على المئذنة التي تواجهني؛ تنفست بعمق مالئًا رئتيّ بالهواء المنعش ثم جلست على المنضدة الوحيدة بالغرفة وأخرجت ظرف الخطاب وفتحته بحرص شديد... كان بداخله ثلاث أوراق مملوءة عن آخرها بالكلمات من الناحيتين فبدأت أقرأ:

ابني حبيبي: تاج

أنا أعرف أن نهاية هذا السرطان الذي أصابني هو الموت؛ وأشعر به يقترب مني مع كل ساعة تمر... بعد موتي لن يكن هناك أحد يعرف هذا السر الذي كنت أخبئه لك في قلبي إلى أن تكبر فأعطيه لك، فمن حقك أن تعرف... لكن المرض يحول بيني وبين أن أراك رجلًا كبيرًا؛ ولا يمكنني أن أعطيك سرًا كهذا الآن وأنت لا تزال طفلًا... لذا سأكتبه لك في هذه الأوراق وأعطيها للممرضة "وفاء" التي تأتيني كل يوم؛ سأطلب منها أن تحفظه جيدًا معها إلى أن تكبر فتعطيه لك... أنا واثقة من أنها لن ترفض طلب إنسانة تموت.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لقد تزوجت أنا ومراد عن حب رغم أن أهلي عارضوا هذا الزواج، لكني استطعتُ إقناعهم وتزوجته... وبعد خمسة أعوام من زواجنا الذي لم يُثمر عن أي أطفال بدأ هذا الحب يتسرب من حياتنا... وكنت أريد استعادته واستبقائه بأي شكل كان حتى لو اضطررت للكذب أو الخداع... من الناحية الطبية لم يكن هناك ما يمنع الإنجاب لديّ أو لديه؛ لكن الله لم يكن يريد؛ هكذا شاء... طلبت منه أن يتزوج بأخرى ويأتي لنا بطفل منها لكنه رفض؛ طلبت منه أن نتبنى طفلًا من أحد الملاجئ لكنه رفض أيضًا... أغلق في وجهي كل الأبواب التي فتحتها في محاولة مني لحل مشكلتنا فاضطررت لأن أفتح أنا الأبواب بمفردي وسيجدها هو مفتوحة أمامه ولن أضطره لفتح شيء.

مراد كان يعمل في دولة عربية ويأتي كل عام مرة واحدة، ومن هنا جاءتني الفكرة وملأت رأسي وتملكتني؛ فبعد أن سافر بعدة أيام أخبرته في أحد محادثاتنا التليفونية بأنني حامل في شهري الثالث؛ فكاد أن يطير فرحًا.

كنت في تلك الفترة أبقى فترات طويلة مع أمي حتى لا أتركها وحيدة بعد أن دخل أخي الوحيد "مصطفى" السجن... أخبرتها بما فعلت فضربت بيدها على صدرها غير مصدقة جرأتي على الكذب في موضوع كهذا... لكنني هدأتها وأخبرتها بباقي خطتي لتنفيذ ما بدأته.

تأتي لأمي سيدة كبيرة في السن عدة أسابيع لتنظيف المنزل، "ست فتحية" كما نناديها؛ هي لا تذهب لأحد غير أمي لمعرفة قديمة بينهما؛ "ست فتحية" كانت تعمل قابلة وكانت تعمل أيضًا في ملجأ للأيتام... لم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أكن بالطبع أريد أن أتبنى طفلًا فهذا يحتاج لأوراق وزيارات من الملجأ وقد ينفضح أمري بسهولة؛ كنت أريد سرقة طفل من الملجأ؛ هكذا كانت خطتي... سآخذ طفلًا ليس له أهل؛ سأحبه وأربيه أفضل مما كان أهله سيفعلون؛ لكني لا أريد أن يعرف أحد أنه ليس ابني ولا أريد قيودًا تذكرني بين الحين والآخر أنه ليس طفلي... سأضع أقمشة حول بطني وأبدو للجميع وكأني حامل؛ سأقوم بتمثيل دور الحامل أمام الجميع وعندما يحين موعد ولادتي سأنزع الأقمشة من فوق بطني وأقول إن "ست فتحية" هي التي قامت بتوليدي؛ سأجعلها أيضًا تُحضر لي طفلًا من الملجأ دون أن يعرف أحد وأكتبه باسمي واسم مراد ويُصبح لدينا الطفل الذي نريده... كانت الخطة محكمة ورضخت أمي لما أريد أمام إلحاحي ودموعي وخاصةً أني لن آخذ طفل أحد... ولم يكن ينقصني غير التنفيذ والتأثير على "ست فتحية" كي تساعدني فيما أريد.

إقناع "ست فتحية" كان غاية في الصعوبة؛ أغريتها بالمال وألنت قلبها بالدموع واستخدمت في وسائل إقناعي معرفتها القديمة لنا وحبها الكبير لي ولأمي، وبعد محاولات عديدة وأيام طويلة وافقت بشرط أن لا يخرج هذا السر عنا نحن الثلاثة وبالطبع هذا ما كنت أريده.

وبدأت على الفور في تمثيل دور الحامل وأذعت الخبر السعيد للجميع؛ وكنت أمشي بين الناس ببطن ممتلئة؛ ممتلئة بالأقمشة.

عندما أتممت سبعة أشهر طبقًا لموعد بدأ خطتي طلبت من "ست فتحية" أن تُسرع بإحضار الطفل لأنه هناك سيدات يلدن في الشهر السابع

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وكنت بلهفة أريد حَمْل طفل يخصني بين يديّ بأسرع ما يمكن... فقالت لي "ست فتحية" أن أول طفل رضيع سيدخل الملجأ ستُحضره على الفور؛ وأضافت "والستر من عنده".

وبالفعل بعد عدة أيام جاءتنا "ست فتحية" وهي تحمل طفلًا صغيرًا؛ قدمته لي وهي تقول: "هذا هو ابنك؛ اسمه "تاج"؛ عمره عدة أشهر فقط... حافظي عليه وأحبيه"... أخذتك من بين يديها في لهفة وسعادة يتبارى كل من قلبي وشفتاي في الابتسام... كنتَ نائمًا؛ تبدو كملاك صغير بين يديّ؛ أبيض الوجه، ذو شعر يميل للاصفرار؛ لك رائحة ذكية... صغير الحجم، تبدو أصغر من عمرك الحقيقي... ظللت أتأملك في صمت إلى أن استيقظت وفتحت عينيك الواسعتين العسليتين فانخلع قلبي من مكانه لرؤية عينيك.

أحببت اسمك الذي قالته لي "ست فتحية" ولم أشأ أن أُعطيك اسمًا آخر... "تاج"، ستكون تاج عمري وحياتي... وبسرعة ذهبت أمي و"ست فتحية" لمكتب الصحة لتسجيل مولود جديد "تاج الدين مراد".

ثم أعلنا للجميع خبر ولادتي وجاءت عمتك وجدتك؛ وكانت أمي تغطيك بأغطية كثيرة وتضع قماشًا خفيفًا على وجهك وتحملك جيدًا طوال الوقت ولا تسمح لأحد بحملك أو النظر إليك بدعوى العين والحسد... وكنت أنا أنام على السرير أواصل آخر فصول المسرحية وأبدو وكأني في حالة نفاس... وهكذا مر كل شيء بسلام دون أن يشك أحد في شيء؛ وشعرت بأن الدنيا أخيرًا بدأت تضحك لي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لكن بعد عدة أيام جاءت إلينا "ست فتحية" في حالة انزعاج تام؛ قالت لنا أنها أخذتك بمجرد أن حضرت للملجأ ولم يكن لديها وقتًا كافيًا لتعرف حكايتك ولا من أين أتوا بك؛ وعندما تم اكتشاف اختفائك عرف جميع العاملين بالملجأ قصتك التي قصتها علينا "ست فتحية"؛ وكانوا يتكتمون على الخبر وهم يواصلون البحث عنك قبل أن يُعلنوا خبر اختفائك.

أخبرتنا عن القرية التي أصابتها لعنة والتي احترقت عن آخرها وكلّ مَن نجا من القرية فقدَ ذاكرته ولم تعد إليه مرة أخرى؛ ثم مات كل الناجين بعد عام مما أصابهم؛ كنا نعرف هذه القصة جيدًا وسمعنا وقرأنا عنها الكثير؛ كانت حديث الجميع لوقت طويل؛ لكن الذي لم نكن نعرفه هو أنك أنت آخر مَن بقي حيًا من هذه القرية، ثم ساقتك الأقدار لتأتي إليّ وأتخذك ابنًا لي.

كنت أنت في بطن أمك عندما نجت من الحريق، ولقد وُلدت في المخيم الذي كانوا يعيشون فيه؛ ثم أصبحت الناجي الوحيد من تلك القرية بعد أن مات الجميع بعد عام من هذه الكارثة... ولأنه لا يوجد أهل أو أقارب لك فقد أودعوك هذا الملجأ في الوقت الذي كنت أوشك على وضع حملي الكاذب، فأحضرتك لي "ست فتحية" طبقًا للخطة التي رسمناها وعشنا فصولها لأشهر عديدة... كانت المفاجأة كبيرة لكن كان تمسكي بك أكبر؛ وقررت أني لن أتركك مهما حدث؛ فلتكن ما تكون، ابن لعنة أو ابن جان حتى... لقد أصبحت ابني أنا منذ أن حملتك بين يديّ.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تخوفت أمي كثيرًا عندما عرفت حقيقتك؛ خافتْ عليّ منك؛ لكني لم أكن أخاف شيئًا وأكدت لها أني لن أتركك مهما حدث؛ ستظل ابني للأبد... كانت "ست فتحية" في حالة خوف وتوتر ولا تعرف ماذا تفعل، فرجوتها أن تظل على صمتها وبعد قليل سينسى الجميع مسألة اختفائك.

بعد عدة أسابيع حملت لنا الخبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة؛ ناقشوا كثيرًا اختفاءك ومَن عساه قد يكون وراء ذلك؛ قالوا خطفتك أجهزة المخابرات لتُجري عليك بعض الأبحاث؛ وقالوا خطفتك بعض العصابات لتستغل حالتك النادرة؛ وقالوا أخذك الطبق الطائر الذي ادعى البعض أنه تسبب في حرق القرية... قالوا الكثير والكثير وهم لا يعلمون أنك تنام هنا في حضني.

وفي النهاية عندما لم يتأكد أي قول مما قالوه أنهوا أقوالهم بأن اختفاءك هو تمام اللعنة التي أصابت تلك القرية، ثم صمتوا بعد ذلك ونسوك ونسوا الحكاية كلّها كما يتم نسيان كل شيء؛ ومضى الجميع في حياته التي اعتادها... واسترحت أنا لهذا وبدأت أعيش حياتي الطبيعية بصحبتك.

كنت طفلًا هادئًا، تضحك كثيرًا ولك رائحة جميلة؛ لكنك فيما بعد كنت صموتًا أكثر مما ينبغي لطفل في مثل سنك؛ لا تحب الاختلاط بالأطفال الآخرين ولا تُكثر من الحديث؛ لكنك كنت أذكى طفل رأيته في حياتي.

بعد حوالي شهر من وجودك معي ماتت "ست فتحية" ثم تبعتها أمـــي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بعد ذلك بستة أشهر؛ وهكذا لم يعد هناك أحد يحمل السر غيري.

جاء مراد بعد عدة أشهر من ولادتي المزيفة وكانت سعادته بك كبيرة ولم يشك لحظة واحدة في أنك لست ابنه... لكن للأسف انحسر الحب بيننا مرة أخرى بعد عدة سنوات ولم يكن في استطاعتي عمل شيء آخر لاستعادته؛ فاكتفيت بحبك أنت يا تاج... ثم ازدادت معاملة مراد لي ولك سوءًا دون أن أعرف السبب؛ أصبح عصبيًا يبحث عن كل أسباب الشجار ليصنع شجارًا من لا شيء أحيانًا، ثم أهملني تمامًا وأهملك أنت أيضًا.. ولولا أني الوحيدة التي تعرف السر لقلت أنه عرفه ولهذا تغير كل هذا التغير... كنت أشعر بغريزة الأنثى أنه يوجد في حياته امرأة أخرى لكني لم أستطع معرفة مدى وجودها بداخله؛ فاكتفيت بالصمت والألم، ثم جاء السرطان ليضعني على حافة النهاية ولم يكن يعنيني وقتها غيرك أنت... حتى مرضي الخطير لم يُظهر له مراد أي تأثر وكأنه وجد فيه طوق نجاة كي يفعل ما يشتهيه بعد أن أموت.

أعرف أن ما أقوله لك هنا صعب وصادم... لكنها الحقيقة كاملة ولم أستطع أن أحجبها عنك للأبد... فمن حقك أن تعرف مَن أنت ومَن هم أهلك ومن أين جئت... سامحني يا تاج؛ لم أكن أريد غير ابن يقول لي ماما؛ أحبه وأربيه كابني؛ لم أخترك بنفسي؛ أحضرتك لي الأقدار فرضيت بعطيتها لي".

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أمسكت بالأوراق جيدًا غير مصدق لما قرأت؛ أخذت أشمها كلمة كلمة وقد كانت تفوح كلها برائحة الصدق؛ هذه إذًا هي حقيقتي وهذا هو أنا... أمي ليست أمي وأبي ليس أبي؛ وجدتي لم تكن جدتي؛ عمتي ليست عمتي؛ خالي لم يكن خالي؛ مَن أنا؟ مَن أكون، مَن هم أهلي... ربما كنت ابن حرام، مَن أدراني ابن مَن أنا؟ دارت الدنيا بي وشعرت أني على وشك أن أفقد الوعي.

كما يقول الخطاب فأنا ابن لعنة، أنا غير طبيعي؛ وهذا يُفسر لي الآن سر القدرات الخاصة التي أحملها منذ صغري والتي تكَشَّف لي آخرها اليوم قبل أن أعرف سر مَن أكون... يفسر لي أيضًا سر الحرائق التي تندلع كل ليلة في أحلامي.

عندما سألت أمي وأنا صغير لماذا اختارت لي اسم تاج قالت لي وقتها أنني سأعرف عندما أكبر؛ ها أنا ذا قد عرفت؛ لم تكن هي التي اختارته لي؛ لقد جئت إليها به؛ تُرى لماذا اختارت لي أمي الحقيقية اسم تاج؟ ومَن هي أمي الحقيقية؟ كيف لي الآن أن أعرف كل هذا؟

وهكذا عرفتُ سرًا لم أكن أتوقعه أو حتى أتخيله؛ جاءني في يوم مشمس شديد الحرارة؛ في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحًا منه؛ جاءني واضحًا كضوء الشمس؛ حارقًا كلهيبها.

كنت أظن أن مثل هذه الأشياء تحدث في الروايات فقط؛ لكن ها هي ماثلة أمامي على أرض الواقع؛ تحدث لي أنا شخصيًا... لقد أصبحتُ رواية حقيقية؛ رواية من لحم ودم.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١٠

منذ أن قرأت خطاب التي كنت أحسبها أمي وتبدلت حياتي تمامًا؛ لم أعد ذلك الشخص الذي كنته؛ كل الذي عشت حياتي عليه كان وهمًا، زورًا، وفي لحظة واحدة كل ثوابتي انهارت وتحطمت... ابن مَن أنا؟ وأي لعنة ما زلت موصومًا بها؟

لأسبوع بأكمله، سبعة أيام متتالية وأنا أقرأ كل ليلة الخطاب؛ أحشوه في رأسي كلمة كلمة؛ أرسخه في روحي حتى أتقبل كل ما جاء فيه وحتى يمكنني أن أقرر ماذا سأفعل في خطوتي القادمة؛ ومن أين سأبدأ في اكتشاف ذاتي الجديدة ومعرفة ماضيّ المفقود؛ هويتي المجهولة.

أنا الآن فرع جاف سقط من شجرة الزمن؛ حملته أيدٍ كثيرة وركلته أرجل؛ ولا أعرف لي أصلًا... أي شجرة تلك التي أُقتلعت منها؟ وأي أرض شربت من مائها؟

الحقيقة الواضحة أمامي أني من قرية ميتة... وكلّ أهلي أموات؛ ماضي ميت وحاضر مغشوش، زائف... تُرى ما هو المستقبل الذي سيصنعه هذا الهجين؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

هل يمكنني أن أصارح أحدًا بهذا الذي عرفته؛ ماذا سأقـــول لأبي مراد؛ لعمتي؛ ولأصدقائي المقربين رضا وحسن؟ والأهم ماذا سأقول لهدى؟ هل يمكنني أن أتزوجها وأنا أخبئ عنها هذا السر الذي يتعلق بأصلي وأصل أولادي من بعدي، وهل ستقبلني هي زوجًا بعد أن تعرف؟ أي اختبار صعب هذا الذي أنا فيه؟

إنها العملية الجراحية الأصعب في حياتي؛ ترى بأي مشرط يمكنني أن أفتح بطن الماضي وأداوي عِلته؛ وهل لهذه العِلة من دواء؟

ظللت أهذي بأفكار كثيرة مختلطة وأخذت تتقافز كل أنواع الأسئلة في رأسي؛ وأنا أرى أمامي جرحي ينزف ولا توجد أي ضمادات طبية أعرفها تصلح لوقف هذا النزيف.

متعبًا من التفكير كنت أسير في الطرقات على غير هدى وعندما تعجز قدمايَ عن حملي لمسافة أبعد أدخل أول مقهى يقابلني وأشرب ثلاثة أكواب من الينسون؛ في محاولة جادة مني لتهدئة عقلي الذي لا يتوقف عن التفكير؛ ثم أدفع ثمن ما شربت وآخذ تاكسي وأعود للمنزل الذي لا ينتظرني فيه أحد.

سيطرت عليّ حالة من التعاسة الممزوجة بطعم الضيَاع وأصبحت شارد الذهن في عملي؛ يملؤني شعور بالهزيمة من شيء لا يمكنني تحديده؛ لاحظت هدى هذا وسألتني فكذبت عليها قائلًا بأنني متعب من العمل؛ لم تقتنع بما أقول لكنها لم تُلح عليّ وإن كان

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

القلق ظل يُطل برأسه من عينيها مع رغبة منها في الحديث معي والذي كنت أقطعه كلّما حاولَت.

سآخذ أجازة أسبوعين أستعيد فيهما ذاتي المفقودة وأرى ما سيمكنني عمله بعد هذا السر الذي عرفته... وضعت التليفون على الوضع الصامت حتى لا أضطر للرد على أحد... وقبل أن أترك المستشفى مستقبلًا الأجازة كان في انتظاري على المكتب ظرف خطاب أبيض اللون ككلّ شيء من حولي، عليه اسمي وعنوان المستشفى والقسم... فتحته لأجده الخطاب الأول الذي تكتبه لي فراق:

١- عزيزي دكتور تاج

احترت ماذا أكتب لك؛ وماذا تريد مني أن أقول... قلبت في رأسي عدة احتمالات لما قد أكتبه؛ هل أحكي لك عن طفولتي؛ عن الماضي الذي عشته، عن أبي وأخواتي البنات؟ أنا بالطبع لم أرَ أمي فلن يمكنني أن أحكي لك شيئًا عنها... أأكتب لك عن المقابر والحياة فيها، عن جيراني من الأموات، مدفن "الشيخ راضي" الذي به الحجرة التي أعيش فيها؛ أم أترك الواقع وأحكي لك عن أحلامي والحياة التي تمنيت لو أني أحياها؟ أأكتب عن المدارس الحكومية التي تعلمت فيها أم عن الكتب التي قرأتها؟ أأصيغ كتاباتي على شكل يوميات أم كتاب متعدد الفصول؟ وقعت في حيرة تامة لعدة أيام ثم قررت أن أكتب ما يخطر ببالي؛ سواء أكان من الحاضر أو الماضي أو حتى من الخيال؛ وسأصيغ كتاباتي في شكل خطابات أقوم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بترقيمها حتى لا تختلط عليك... ليتك أوضحت لي من البداية كيف تريدني أن أكتب لك ورحمتني من هذه الحيرة التي نهشتني لأيام... على كلٍ إذا لم تعجبك خطاباتي فأخبرني بهذا وبما تريد وأنا سأتبع تعليماتك؛ فقط أعطني إشارة للطريق الذي تريد للكلمات أن تسير فيه.

أولًا اعذرني لأني سأكتب لك بخطي وليس من خلال كمبيوتر أو آلة كاتبة؛ فأنا لا أمتلك أيًا منهما؛ وأعتقد أن الكتابة بخط اليد توصل المعنى بطريقة أكثر وضوحًا وصدقًا... حروف حية أفضل من حروف إلكترونية صماء... ألا تتفق معي في هذا؟

كان هذا أولًا، أما ثانيًا فأنا اليوم ذهبت لمكتب التنسيق؛ حتى أكتب رغبتي في الالتحاق بكلية الهندسة، الحلم الذي دفنته في قلبي لمدة عام ها هو يقوم من مرقده ويحتويني... استيقظت في السابعة صباحًا وأنا في أعلى مراتب سعادتي؛ صليت الصبح وتناولت إفطارًا سريعًا يتكون من كوب كبير من الشاي وقطعة خبز وقطعة جبن؛ وأنا أشرب آخر قطرات الشاي سمعت صوت صراخ بخارج الحجرة؛ لا بد أنه ميت جديد يتجه لمرقده الأخير؛ تجاهلت صوت الصراخ ودندنت لحنًا لأغنية أحبها لمحمد منير (ربك لما يريد أحلامنا هتتحقق وكلامنا هيتصدق والغايب هيعود)... ثم ارتديت أجمل ما لديّ من ملابس... الحقيقة أنا لديّ اثنين فقط من ملابس الخروج لذلك فقد ارتديت الأجمل منهما، ذو اللون الأزرق الفاتح... ثم خرجت من البيتَ متجنبة أن أنظر لأحد أو أتوقف عند قبر.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في الميكروباص الذي ركبته كان صوت محمد منير في انتظاري أيضًا (أشكي لمين وأحكي لمين، دنيا بتلعب بينا، تُهنا سنين ولا عارفين بكره جايب إيه لينا)؛ إنه صباح منير بلا منازع وأنا أحب صوته وأحب أغانيه، واليوم الجميل الذي يبدأ بشيء نحبه لا بد أن ينتهي أيضًا بشيء نحبه... تابعت بعينيّ كل الشوارع وما فيها؛ كنت أوزع على الأشياء سعادتي مع كل نظرة؛ كل شيء بدا جميلًا وسعيدًا مثلي؛ يشاركني فرحتي في أسعد يوم في حياتي.

ذهبت أولًا لماكينة الصرافة وسحبت نقودًا بالبطاقة التي استخرجتها من البنك (مرفق مع هذا الخطاب كشف حساب بالمصاريف التي دفعتها لتقديم أوراقي للكلية؛ وما سحبته من ماكينة الصرافة وما تبقى فيها).

في مكتب التنسيق تقدمت بأوراقي للالتحاق بكلية الهندسة؛ كتبتها رغبة أولى وثانية وثالثة وأخيرة... واجهت السؤال الذي كنت أتوقعه؛ لماذا تأخرت في تقديم أوراقي عامًا بعد حصولي على الثانوية العامة؟ أخبرتهم بالإجابة التي كنت أعددتها مسبقًا، بسيطة ومختصَرة "أبي كان مريضًا وكنت أرعاه"... هل تعتقد أنني كنت أكذب؟ وهل هذه كذبة يمكن أن تغفرها لي؟ على كل حال أنا قد غفرتها لنفسي.

في خانة العنوان ترددت في كتابة عنواني؛ خفت إذا شاهدوا العنوان في المقابر أن يمزقوا طلبي؛ فلا يُعقل أنه يوجد ميت يطلب الالتحاق بكلية الهندسة ويترك عنوان المقبرة التي يرقد فيها... وقعت في حيرة حقيقية وضيق منذ صباح هذا اليوم الجميل؛ لكن لم يكن أمامي شيء أفعله؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

استجمعت شجاعتي وكتبت العنوان ودعوت الله ألا يفكروا فيه كثيرًا؛ أو ليتهم يتجاهلوه.

ملأت كل الأوراق التي أعطوها لي ودفعت كل الرسوم المطلوبة من نقودك التي أعطيتها لي والتي أسدد دفعة منها الآن بكتابتي هذه... ولستُ أدري؛ هل هذه السطور تُعتبر ثمنًا عادلًا لنقودك؟

مع تحياتي ومودتي.

فراق

جاء خطابها كبلسم تم وضعه على التعاسة التي أصبحت أحياها؛ وكأنه نقطة نور نبتت في ظلمة يومي؛ أحببت كلماتها وطريقتها في الكتابة وكلّ ما قالته... شممت كلمات الخطاب باستمتاع لرائحتها التي تُشبه رائحة ألف وردة مجتمعة.

لم أطلب منها أن تكون كلماتها لي على هيئة خطابات لكنها اختارت أن تضعها في هذه الهيئة... موعودٌ أنا بالخطابات على مدار حياتي؛ في بداية مراهقتي كانت خطابات المجنونة التي كانت تكتبها وتلقيها من النافذة وآخذها أنا وأقرؤها ثم أحتفظ بها؛ ثم جاء خطاب أمي بذلك السر الذي احتواه فقلب حياتي رأسًا على عقب؛ وها هي خطابات فراق لي... ترى هل ما زالت الدنيا تُخبئ لي خطابات أخرى؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ربما خفف عني خطاب فراق بعضًا من الألم الذي يسيطر عليَ لكني عدتُ للمنزل في حالة إعياء شديدة؛ ارتميت بكامل ملابسي فوق السرير وأنا أفكر في أمي الحقيقية التي ولدتني؛ في أبي؛ في قريتي التي احترقت، في أهلي الذين فقدوا ذاكراتهم... ظللت منغمسًا في بحر تفكير متلاطم إلى أن أخرجني منه طرقات على الباب فانتبهت؛ مَن قد يأتيني وأنا لا يزورني أحد؟

فتحت الباب لأجد عمتي تقف أمامي؛ بطولها الفارع وجسدها الممتلئ وحجابها الذي يُظهر جمال وجهها الأبيض المستدير رغم تعاقب السنوات عليه... كانت المرة الأولى التي أرى فيها أحدًا ممَن أعرفهم بعد معرفة السر؛ تلعثمت في وقفتي ولم أكن أعرف ماذا أقول؛ هي لا تعرف أنها ليست عمتي؛ ولا أدري كيف سأقول لها خبرًا كهذا... عندما رأت صمتي وشحوبي قالت لي:

- لماذا تقف كالشبح هكذا؟

لم أستطع نطق كلمة واحدة لكني أفسحت لها الطريق فدخلت وقامت بفتح النافذة فغمر الضوء المكان وواصلت حديثها:

- لماذا لا ترد على التليفون ولا تأتي لزيارتنا كما كنت تفعل؛ ولماذا لونك مخطوف هكذا؟

- أشعر ببعض التعب والإرهاق.

- بالتأكيد لا تأكل جيدًا... هيا ستأتي معي الآن... الكل هناك في انتظارك وأنت لا ترد على مكالمات أحد.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- ليس الآن يا...

ولم أستطع إكمال كلمة عمتي؛ لم يطاوعني لساني على نطقها كذبًا؛ فقالت لي بعصبيتها التي أعرفها:

- أنا لا آخذ رأيك... أنا أقول لك هيا معي.

لا يمكن للزمن أن ينال من شخصية هذه السيدة القوية؛ حتى اسمها يدل على قوة شخصيتها؛ إقبال، فهي تُقبل دائمًا ولا تخشى شيئًا... وأبناؤها الأربعة تبدأ أسماؤهم جميعًا مثلها بألف مكسورة، إشراق، إنصاف، إلهام، إسلام؛ ولكلّ منهم نصيب من اسمه يلتصق بشخصيته... لم يكن بمقدوري غير أن أذهب معها.

في بيت عمتي وجدت هناك بنت عمتي التي هي في مثل عمري، إلهام وابنتها الصغيرة فرح؛ وابن عمتي إسلام، وما لم أكن أتوقعه وجدت أبي معهم؛ لم أكن أدري لماذا هو الآخر هنا في انتظاري... أخرجني إسلام من تفكيري وهو يضع يده على كتفي ويقول:

- أين كنت مختفيًا يا رجل؟ وكيف حال هدى؟

- بخير الحمد لله؛ العمل والدراسة يأكلان الوقت.

- أعرف أعرف.

ثم لكزني بكوعه وهو يغمز بعينه اليمنى ويقول:

- والحب؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم أكن في مزاج يسمح لي بسماع كلمات إسلام المرحة فتوجهت ببصري حيث كان يجلس أبي وكان هو الآخر ينظر إليّ... ثم قام من مكانه واقترب مني، وأخذني من يدي وذهب بي إلى "البلكونة"؛ جلسنا هناك وجهًا لوجه؛ لم يجلس معي هكذا منذ أعوام طويلة فلماذا الآن وأنا أعرف أنه ليس أبي؛ كيف سأصارحه بشيء كهذا؛ لا لن أقول له أبدًا؛ لا يجب أن أهز صورة أمي في عينيه؛ لا يمكنني أن أفعل هذا مطلقًا... أمي التي أنقذتني من حياة الملاجئ وربتني وعلمتني كأحسن ما يكون؛ جعلتني إنسانًا طبيعيًا في مجتمع كان سيظل العمر كلّه ينظر لي نظرة دونية على أني ابن لعنة؛ على أني لستُ مكتملًا مثلهم... أخرجني أبي من شرودي وهو يقول لي:

- اسمعني جيدًا يا تاج... هناك سر يجب أن أخبرك به، لقد آن الأوان كي تعرف.

وكأن فأسًا ضربت قلبي عندما سمعت كلمة سر وازداد لوني شحوبًا... أيعقل أنه يعرف؛ هل تركت له أمي قبل أن تموت خطابًا هو الآخر؟ وانتظرت بلهفة وخوف كي يُفصح لي عن سره... قال وهو يشيح ببصره بعيدًا في اتجاه الشارع:

- أنا مريض.

ارتحت قليلًا لأن سره بعيدًا عني لكني قلقت عليه من الطريقة التي نطق بها هاتين الكلمتين فقلت له:

- ألف سلامة عليك... ممَ تشكو؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- المرض خطير واكتشفته في مراحله الأخيرة: "فيروس سي" أحدث تليفًا في الكبد... اليوم أخبرت زوجة أبيك وعمتك التي بكت كثيرًا عندما عرفت وأصرت على أن تذهب إليك وتُحضرك.

- أريد أن أعرف كل تفاصيل الحالة وسأذهب بك لأفضل الأطباء و...

قاطعني قبل أن أُكمل كلامي:

- لا تتعب نفسك يا بني؛ فعلت كل هذا والأمل مفقود.

كلمة ابني التي كنت أسمعها منه للمرة الأولى بهذه الحرارة مزقت قلبي وشطرتني نصفين؛ لماذا الآن تقولها لي بكل هذه الأبوة وأنت لست أبي!

تحت وطأة السر الذي أحمله ومعاملة أبي الحانية لي على غير عادته وجدت دموعي تتساقط من عينيّ رغمًا عني؛ أنا الذي لا أتذكر متى كانت آخر مرة بكيت فيها... أكنت أبكي على حاله أم على حالي؟ قام أبي من مكانه واحتضن رأسي وهو يقول:

- لا يا تاج... لا تبكِ... أنت الآن رجل البيت؛ وأنا أريدك أن تكون على قدر المسؤولية؛ إخوتك أمانة في رقبتك بعد موتي؛ ليس لهم غيرك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أي بيت؟ أنا لا بيت لي... لماذا تفعل الدنيا بي كل هذا؟ تُعيد لي البيت بعد أن أكتشف أنه ليس بيتي؛ تعطيني حنان أب افتقدته طويلًا بعد أن أكتشف أنه ليس أبي... ما كل هذه السخرية مني؟

هدأت قليلًا ومسحت دموعي وعاد أبي لمكانه وواصل كلامه:

- أعرف أني كثيرًا ما قسوت عليك؛ وكثيرًا ما ابتعدت... سامحني؛ الدنيا يمكنها أن تفعل هذا وأكثر.

مَن يجب أن يُسامح مَن؟ إنه لا يعرف ما أعرفه... ما أقسى أن تكون الوحيد الذي يعرف الحقيقة.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١١

واظبت على الاتصال بأبي كل يومين لأطمئن على صحته؛ كان يرد هو أحيانًا على مكالماتي وأحيانًا ترد زوجة أبي التي بدا صوتها وكأنه فقد عنفوانه وجبروته القديم.

كل هذا الذي يحدث لي أصبح وقودًا جيدًا لكوابيسي؛ مادة شديدة الاشتعال أسكبها كل يوم على أحلامي وأنام.

منذ معرفتي بالسر الذي جاءني في خطاب أمي رجاء وأصبح بداخلي فجوة كبيرة من فراغ لن يملأه شيء غير معرفتي مَن أكون... فلا بد لي من أن أخطو خطوات جادة لمعرفة أصلي وأهلي؛ فبدأت على الفور بالبحث عنهم وعن حكاية تلك القرية... ومن خلال الإنترنت بحثت عن كل الجرائد القديمة التي أمكنني العثور عليها وقرأت كل ما كُتب عن تلك القرية؛ عن أهلها الذين احترقوا والباقين الذين فقدوا ذاكرتهم بشكل تام؛ كانت غالبية الأخبار تقول إنها لعنة أصابت تلك القرية؛ وكان التخوف كبيرًا من أن يكون فقدان الذاكرة عدوى تُصيب الناس؛ رأيت في الجرائد القديمة صور للقرية المحترقة والمخيم الذي كان يعيش فيه الناجون من الحريق والمقبرة التي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ضمت موتاهم... قررت وأنا أرى هذه الصور أن أذهب إلى هناك؛ لأرى بنفسي تلك القرية التي هي قريتي؛ والمقبرة التي تضم أهلي.

وجدتها كما شاهدتها في الصور؛ متكئة على سوادها؛ لم يجرؤ أحد على إعادة بنائها خوفًا من تجدد اللعنة؛ الكلّ خافها فتركها على حالها؛ أطلال سوداء تلعب فيها الريح... زلزل المكان روحي وتهاوت أمامه كل قدراتي... هزة عظيمة كادت أن تطيح بي... أنا ابن كل هذا الخراب؛ أنا ابن كل هؤلاء الموتى؛ أنا بقايا اللعنة التي أصابتهم.

وقفت في بداية القرية وثبت نظري على شوارعها الضيقة ومبانيها؛ أخذت أتأمل سوادها وصمتها... أغمضت عينيّ محاولًا أن أسمع صوتها الخفي، لكن لم يأتيني غير مواء قطة كانت تتوارى داخل أحد البيوت الميتة.

مشيت في الشوارع المهجورة ونظرت إلى البيوت التي تفغر أفواهها بلا أبواب؛ أي بيت من هذه البيوت هو بيت أبي وأمي وأي شارع كان من المفترَض أن يكون شارعي؟

فقدَت كل الأسئلة معانيها في رأسي واستحالت إجاباتها فاتجهت إلى المقبرة التي تضم موتى القرية؛ حيث كانت محطتهم الأخيرة التي نزلوا فيها... وقفت في بدايتها واحترت ماذا أقول لهم، مَن من بين هؤلاء الموتى يجب أن أُخاطب... أبي هل أنت هنا؛ أمي في أي منطقة من المقبرة ترقدين؟ ما اسمكما؛ شكلكما؛ كيف كانت حياتكما وكيف كان الموت؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وددتُ لو أني ناديتُ أحدًا منهم فيجيبني، لكني أعرف تمام المعرفة أن الموتى لا يجيبون... أغمضتُ عينيّ بشدة واسترقت السمع عل صوتًا قد يأتيني، لكن كل الذي جاءني صوت الريح مدويًا وحفيف أوراق من بعيد وصوت حشرات تزحف ومواء قطة... لم يأتني أي صوت من العظام التي ترقد في المقبرة... أعرف أن قدراتي لا تتعدى الأحياء لكني في أمس الحاجة إليها الآن مع كل ما تبقى لي؛ حفنة من الأموات.

كلّ الأماكن في القرية واجهتني بالصمت فلم أجد أمامي غير أن أبحث عن أحياء ممَن عاشوا المأساة وكانوا قريبين منها... ذهبت لمجلس المدينة التابعة لها القرية، أخبرتهم بأني أُعد بحثًا عن هذه القرية وأريد مساعدتهم... لم يضعوا أمامي العراقيل كما كنت أتوقع بل وجدتهم يتركوني مع أوراق لا حصر لها؛ عدة ملفات غصت فيها وفي أحداث عام بأكمله.

رفضوا أن أقوم بتصوير أي شيء من هذه الأوراق فكنت أذهب إليهم في التاسعة صباحًا ولا أغادر حتى الثانية ظهرًا؛ لمدة عشرة أيام أذهب إليهم كل يوم، أقرأ كل ما كتبوه هناك وأُسجل في مفكرة معي أسماء كل الذين تعاملوا عن قرب مع الحَدَث؛ هؤلاء الذين أخذت أسماءهم كانوا وجهتي المقبلة لمعرفة أي شيء عن أهلي... صورة من تحقيقات النيابة معهم كانت في الأوراق؛ إجاباتهم كلّها كانت تتفاوت بين لا أعرف ولا أتذكر؛ نسيان كامل الدسم أصاب هؤلاء.

شهادة بعض الذين ذهبوا لمكان الحريق بعد اندلاعه مباشرةً من أهالي القرى المجاورة وبعض رجال الأمن والمطافيء؛ جميعهم في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

شهاداتهم يؤكدون أنهم وجدوا جميع الناجين من الحريق في حالة ذهول وعدم تذكر لأي شيء، حتى أسماءهم أو كيف اندلعت النار في القرية؛ أو كم عدد الذين أكلتهم النار ممَن يعرفون أو أي شيء على الإطلاق... أيضًا كل مَن حضر لموقع الحريق لم يستطع التعرف على أي من الناجين؛ كانت اللعنة تامة؛ نسيان من جميع الأطراف لهؤلاء.

حلت هذه اللعنة بالقرية كما تقول الأوراق في الثالث عشر من شهر نوفمبر لعام ١٩٨١م... وأنا تاريخ ميلادي عندما سرقتني "ست فتحية" من الملجأ وكتبتني أمي رجاء باسمها يشير إلى السابع من ديسمبر لعام ١٩٨٢م... أي بعد حريق القرية بحوالي عام... ترى كم كان عمري الحقيقي عندما سجلتني أمي رجاء في مكتب الصحة؛ تقول في خطابها كنت ابن عدة أشهر عندما جئتها.

نحن الآن في عام ٢٠٠٩م... أي مر على حريق القرية ثمانية وعشرين عامًا؛ إنه تقريبًا عمري إلا قليلًا.

تقول الأوراق أنهم أطلقوا عليهم اسم "منكوبي الحريق" ووضعوهم في مخيم إيواء؛ ولعدم معرفة أسمائهم فقد أعطوهم أرقامًا كي يمكن التعامل معهم وتنظيمهم، ثم ابتكر "منكوبي الحريق" طريقة لتسمية أنفسهم بأسماء الأشياء إلى أن يمكنهم معرفة أسمائهم الحقيقية... وجدوا أنفسهم بعد الحادث يتحدثون باللغة العربية الفصحى؛ أعتقد أن للعنة التي أصابتهم مزاياها؛ فما أجمل الحديث باللغة العربية الفصحى... حفروا مقبرة بجوار المخيم حيث

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

دفنوا كل الذين احترقوا في القرية والذين لم يستطع التعرف عليهم أحد من الناجين.

تحقيقات النيابة أثبتت وجود بانجو محترق فوق أسطح العـــديد من بيوت القرية؛ لكن الناجين من الحريق لم يكونوا يعرفون معنى كلمة بانجو؛ بعض الكلمات ومعانيها فُقدت مع ذاكرتهم المفقودة.

كانت هناك لجنة من الدولة تشكلت للتعامل مع هذه الحالة النادرة منذ بدايتها... كتبت أسماء هؤلاء الذين كانوا في تلك اللجنة (ثلاثة من موظفي الحكومة من مجلس المدينة التابع لها هذه القرية؛ طبيبان بشريان؛ ممرض وممرضة؛ طبيب نفسي؛ شيخ أزهري وقسيس؛ أخصائي إعلام؛ وثلاثة أخصائيين اجتماعيين)... كانت سعادتي كبيرة بهذه الورقة التي بها أسماء وأماكن عمل هؤلاء الأحياء الذين سيخبرونني بأهلي الأموات الذين رأوهم وتعاملوا معهم.

الفحوصات الطبية والأشعة التي أجروها لهم أثبتت أنهم أصحاء تمامًا؛ والغريب أنه لم يكن يوجد لدى أي منهم أي مرض مطلقًا... كتبت اسم المستشفى التي أُجريت لهم بها هذه الفحوصات... الأوراق تذكر أيضًا أن وفدًا أجنبيًا من خارج البلاد حضر لفحص بعض من أصحاب اللعنة؛ وخرجوا أيضًا بلا شيء؛ لم يستطع أحد إعطاء تفسير محدد لما أصاب هؤلاء.

رجال الدين كانت لهم فتواهم التي ملأت بعض الأوراق... اعتبروا الجميع مسلمين ما لم توجد علامة صليب واضحة على يد أحد الناجين... ولاستحالة معرفة علاقات الزواج والنسب بين كل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الناجين الفاقدين لماضيهم فقد أفتوا بأن كل رجل من الرجال الناجين سيقوم بنطق جملة (أعتبر زوجتي طالق إذا كنت متزوجًا)؛ ينطقها أربع مرات خوفًا من كونه متزوجًا من أكثر من امرأة... ثم عادوا فأفتوا بمنع زواج أي من الرجال الناجين من إحدى النساء الناجيات خوفًا من أن تكون أحد محارمه.

كانوا يعرفون القراءة والكتابة وأسماء كل الأشياء ومعاني معظمها لكنهم لم يكونوا يعرفون شيئًا من العلوم أو المعارف المختلفة؛ لذا فقد تم تشكيل فصول مختلفة لتلقينهم مبادئ اللغات والحساب والعلوم والجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية والدين والأخلاق... ونظموا لهم جلسات علاج نفسي بعد أن هاجم الكثير منهم الاكتئاب وبعض الأمراض النفسية.

تم تحديد أعمار تقديرية لكلّ واحد من الناجين عن طريق فحص طبي بالأشعة للأسنان والعظام.

ظهرت مخاوف من احتمال أن يكون فقدان الذاكرة الجماعي هذا مرضًا معديًا؛ وتخوفت الدولة كلّها من عدوى كهذه فتم فرض حصار مشدد على المخيم؛ وظهرت في الأسواق أدوية ضد النسيان وعيادات طبية متخصصة في علاج ضعف الذاكرة أو فقدانها وأعشاب طبية؛ جمعيات حماية الماضي ووثائق التأمين وآيات وأذكار وأدعية... وتم إنتاج فيلم سينمائي بعنوان (دولة بلا ذاكرة)؛ قصته مستوحاة مما حدث لأهل القرية.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وخوفًا من فقدان ذاكرة تام للجميع؛ قامت الدولة بعمل نظام توثيق جديد لبيانات المواطنين يعتمد أساسًا على الصورة والبصمة مع تجديد سنوي للصورة وباقي البيانات لكلّ شخص بحيث لا يكون الاعتماد الأساسي على الاسم فقط.

خلال عام لم تحدث حالة وفاة طبيعية واحدة لأي من الناجين، فقط حالة انتحار لأحدهم وكان يُدعى مصباح٢... وجدت في الأوراق أيضًا حالة عمى لشخص يدعى مصباح٣... وحالة جنون لشخص يُدعى حائط٧.

لم يستطع الإعلام العثور على أحد يعرف أيًا من سكان القرية أو كان له قريب بها، أو حتى له صورة مع أحدهم؛ طالتهم اللعنة من كل جانب... وعاد رجال الدين بفتوى جديدة بأنه لا يجوز لأحد من الناجين أن يتزوج، ويجب عليهم الانتظار حتى تعود لكلّ منهم ذاكرته، وقتها سيمكنه أن يعرف أهله ويمكنه أن يتزوج؛ وكأنهم يحكمون عليهم بعدم الزواج من أحد.

بعد أن تبدد كل أمل في العثور على أي ماضٍ لهم وتأكد أنهم ليسوا خطرًا على ماضي الآخرين نفضت الدولة يدها منهم وفتحت لهم أبواب المخيم ليبحثوا عن عمل ويواصلون الحياة؛ خصصت لكلّ منهم معونة شهرية يعيش منها حتى يمكنه العثور على عمل... حدثت فيما بعد بعض السرقات في المخيم وبعض الشباب قاموا بزراعة أشجار بانجو داخل الخيام.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وفي الأوراق وجدتني: ها هو تاريخ ميلادي الحقيقي تذكره الأوراق؛ إنه 17/07/1982... أي أن أمي رجاء أخذتني وعمري ما بين أربع أو خمسة أشهر.

المرأة الوحيدة التي كانت حامل من بين النساء الناجيات من الحريق؛ كانت في خيمة (٧ ب)... مكتوب في الأوراق أنه عندما وُلدتُ رفضت أمي أن آخذ اسم الخيمة الذي كان مؤنثًا؛ لذا أطلقت عليّ اسم "تاج" بلا أرقام... كنت الوحيد من بين القرية كلّها الذي أعرف مَن هي أمي؛ الوحيد من بينهم الذي لا أمتلك ذاكرة مفقودة.

بعد مرور عام من احتراق القرية أصابهم جميعًا صداع شديد وبعد ثلاثة أيام من هذا الصداع بدأ الموت يحصدهم الواحد تلو الآخر... مكتوب في الأوراق أنني الوحيد الذي لم أُصَب بالصداع؛ كنت أضحك وأعيش حياة الأطفال العادية؛ وعندما ماتت أمي ولم يكن هناك أحد يرعاني وكلّ مَن بالمخيم إما ميت أو ينتظر دوره في الموت أخذوني للملجأ... ذلك الملجأ الذي سرقتني منه "ست فتحية" وهي لا تعرف حكايتي، وأعطتني لأمي رجاء التي اتخذتني ابنًا لها وربتني كأحسن ما تكون التربية؛ أعطتني اسمًا وبيتًا وأبًا وأمًا وحياة لم أكن لأجدها في ملجأ؛ لم أكن مطلقًا لأنعم بها وأنا موصوم بلعنة أهلي.

عاشوا موتًا مؤجلًا لمدة عام؛ فكم موتًا مؤجلًا أعيشه أنا؟

كلّ يوم أعود من مجلس المدينة، أجلس لأكتب من الذاكرة كل ما قرأته في تلك الأوراق؛ لا أريد أن أنسى شيئًا؛ وظللت أحتفظ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بالورقة التي بها أسماء مَن يجب عليّ أن أبحث عنهم وأتحدث إليهم: شهود عيان الحادثة؛ شهود عيان اللعنة.

لماذا قالوا إن اللعنة قد اكتملت بموت جميع الناجيين واختفائي؟ الذي لا يعرفونه أنني لم أختفِ؛ ها أنا ذا حي يُرزق، لم أمت ولم أختفِ؛ إذًا فربما كان للعنة بقية؛ وربما انتهت بموتي مثل موتهم؛ لذا يجب أن أبذل كل جهدي لأعرف كل شيء قبل أن تأتي النهاية؛ نهاية اللعنة وربما نهايتي.

هل أنا فعلًا مسلم؛ ربما كانت أمي نصرانية لا تضع علامة الصليب على يدها فاعتبروها مسلمة وأصبحت أنا بالتبعية مسلم... أي هوية ضائعة أصبحت أنا؟

كان يلزمني قدرات أكثر حتى أتحمل كل هذا... مثلًا القدرة على امتصاص الصدمات دون أن أتأثر، أو مثلًا القدرة على نسيان ما أريد نسيانه؛ يا لها من قدرة كانت ستكون مخَلِصة لكلّ هذا العذاب الذي أعيشه.

بعد أن انتهت أجازتي عدت للعمل؛ ووجدت خطابًا جديدًا من فراق في انتظاري:

٢- عزيزي الدكتور الإنسان: تاج

بمَ أنك لم تعترض على خطابي الأول لك؛ إذًا فقد استنتجت أنه قد أعجبتك طريقة الكتابة على شكل خطابات؛ وإليك الخطاب الثاني.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كنت أعد الأيام ولا أعرف كم يومًا بقيّ على نتيجة التنسيق؛ أقرض أظافري خوفًا من عدم قبولي في كلية الهندسة وأبكي إذا جنح بي التفكير إلى أنهم قد يرفضون أوراقي؛ وقد يأتي في مسببات الرفض أني من ساكني القبور الذين لا تليق بهم كلية كهذه؛ وبنت حفار القبور يجب ألا يتعدى تفكيرها لأبعد مما حولها.

وأخيرًا انتهى عذابي ووصلني اليوم خطاب من مكتب التنسيق بقبول أوراقي في الجامعة وفي كلية الهندسة... لم يحدث وأن وصلني خطابًا من قبل؛ إنه أول خطاب يصلني في حياتي؛ وأجمل خطاب، وأسعد خطاب... كدتُ أطير من السعادة لكني تماسكت حتى يذهب ساعي البريد الذي وقف منتظرًا مكافأته على هذا الخطاب السعيد الذي أحضره لي... أعطيته بعض النقود التي كانت معي ثم أغلقت الباب واحتضنت الخطاب وقبلته وأخذت أدور به سعيدة في كل مكان في الحجرة... قرأته عدة مرات؛ قرأته بعينيّ وبلساني وبقلبي وبكلّ حواسي؛ مررت يدي على كل كلمة من كلماته... أخيرًا حلم حياتي بدأ يتحقق.

كنت أريد أن أشارك أحدًا فرحتي هذه؛ فهي كبيرة عليّ وأخاف ألا يحتملها قلبي الصغير... ذهبت مسرعة لحجرة جارتنا "أم سعد" التي تعيش وحدها بعد أن مات زوجها وهجرها ابنها الوحيد "سعد"... احتضنت أم سعد وقبلتها وأخبرتها بالخبر السعيد؛ ورأيت السعادة في عينيها؛ سعادة حقيقية خالصة... وأصرت أن تصنع لي مشروب "الشَرْبات"... لا أعرف

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إذا كنت تعرف هذا المشروب أو لا؛ لكنه مشروب وردي اللون يشربونه في الأفراح؛ وأنا في هذا اليوم في فرح.

اكتشفت أم سعد أنه لا يوجد لديها "شَرْبات"؛ فأخبرتها بأني سأحضره لها بنفسي كي تصنعه كما تريد... وبسرعة ذهبت فاشتريت "شَرْبات" وعدت إليها لنُكمل به طقوس فرحنا.

هل تعرف ما فعلته بي؟ لا بد أنك لا تعرف... دعني أُخبرك... لقد أحييت إنسانة كانت تعيش بالجسد فقط بعد أن ولّت الروح مدبرة... كلمات الشكر كلها لا يمكنها أن تشكرك.

أنت لست فقط طبيب الأجساد؛ أنت طبيب الأرواح... ترى كم روحًا داويت؟

تحياتي الحارة.

فراق

أنا يا فراق روح تحتاج لدواء؛ روح تحتاج لمَن يداويها.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١٢

خصصت كل الليالي لبحثي الذي يجب أن أواصله؛ لاحظت هدى تغيري وشحوبي؛ سألتني فلم أفصح عن شيء؛ ولاحظت أنا أيضًا أنها لا تهتم بي كما في السابق؛ لم تسأل عني خلال أجازتي إلا مرة واحدة؛ ولم تسألني عن السبب الذي أخذت من أجله هذه الأجازة؛ كانت تبتعد وكنت أفعل المثل؛ أعرف أسبابي وما أصبحت فيه لكني لم أكن أعرف أسبابها بعد... وفي يوم كنت مارًا بالقرب من قسم الأطفال ولمحتها تدخل حجرة رئيس القسم؛ دكتور رياض... ساورتني بعض الشكوك فهي ليست المرة الأولى التي أراها معه؛ لا أنسى عند مصافحتي لها منذ عدة أسابيع عندما رأيت صورته في رأسها... اقتربت من المكان أكثر وجلست على كرسي بالقرب من الحجرة وأغمضت عينيّ ووجهت أذنيّ لداخل الحجرة وبدأت أسمع:

- أنا قاربت على تسوية أموري وإنهاء الطلاق مع نرمين... وأنتِ؛ متى ستتحدثين معه؟

- خلال هذا الأسبوع... أنا لا أحتمل الاستمرار هكذا؛ فبعد أن أحببتك لا أستطيع الحديث معه، أو حتى السؤال عنه، وهو قد بدأ يلاحظ تغيري هذا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- وأنا لا أحتمل أن تكوني مرتبطة بغيري ولو حتى بالكلام.

فتحت عينيّ بسرعة حتى لا أسمع المزيد... وشعرت باختناق شديد وأخذت أنفاسي تتلاحق؛ ما هذا الذي يحدث لي؟ كل المصائب تأتيني مرة واحدة، أكتشف فجأة أنني لست مَن كنت أظن؛ وأن أهلي ليسوا أهلي؛ وأن حبيبتي تُحب غيري... كم من مصائب أخرى لم أعرفها بعد؟

أخذت أهدئ من انفعالي وأقول لنفسي أن هذا الذي يحدث مع هدى أفضل شيء لي؛ لم أكن أستطيع مواجهتها بحقيقتي، فلتذهب هي... فأنا لا أستطيع مواجهة أحد.

مرت ممرضة من أمامي ورأتني في تلك الحالة السيئة فاقتربت مني:

- دكتور... حضرتك متعَب؟

- لا، مجرد دوار بسيط؛ سأعود لمكتبي.

في هذه اللحظة خرجت هدى من مكتب دكتور رياض ورأتني فاقتربت مني وهي تقول:

- تاج... أريد أن أتحدث معك في موضوع هام.

لم أرد عليها وتركتها وذهبت لمكتبي... أعرف كل ما تريد قوله وسأجنبها وأُجنب نفسي عناء هذا اللقاء الأخير... ذهبت لمكتبي وخلعت البالطو الأبيض وشربت كوبًا كبيرًا من الماء؛ كنت أشعر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بحريق هائل في صدري وأريد أن أطفئه؛ لكن لم يؤثر فيه كوب الماء بشيء... خرجت من الحجرة ومن المستشفى، أريد أن أبتعـــد قدر مـا أستطيع عن هذا المكان؛ عن هؤلاء الناس؛ عن نفسي.

أخذت أدور بالسيارة في شوارع لا أعرفها وأتوه وسط أناس لا أعرفهم إلى أن تعبت فعدت للمنزل وارتميت بملابسي فوق السرير؛ تنهشني الأفكار من كل جانب، ثم رن جرس تليفوني المحمول وكانت هدى؛ رددت عليها وفي نيتي إنهاء كل ما بيننا من خلال هذه المحادثة والآن وبأقل كلمات ممكنة:

- تاج... ماذا بك؟ أشعر أنك لست على ما يرام.

- هدى أعتقد أننا لا نصلح لبعض؛ ولا يمكننا الارتباط أو الاستمرار أكثر من هذا.

صمتت وصمت أنا أيضًا وامتد الصمت بيننا واستطال ثم قطعته هي قائلة:

- لماذا تقول هذا؟

- ببساطة لأنني أحب قراءة الكتب وأنتِ لا تحبينها.

لم تكن إجابة مقنعة لأي أحد لكنها اعتبرتها كذلك لتُسهل عليها مهمتها حيث قالت:

- أنت تتمناك ألف بنت يا تاج.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- وأنتِ يليق بكِ دكتور كبير ورئيس قسم مثل رياض... أتمنى لكِ كل سعادة يا هدى... مع السلامة.

وأغلقت التليفون وعينيّ وسقطت في بئر نوم لا أدري من أيــن أتى فابتلعني.

ما أصعب أن ننخدع في حبنا؛ الحب الذي حملته في قلبي لأعوام يتركني هكذا في أيام... لم يكن ينقصني هذا الألم المضَاعَف وكنت أحتاج لمَن يحمل معي آلامي هذه ولو ببضع كلمات... قمت بالاتصال برضا وحسن وقد باعدت بيننا الظروف وكلٌ انشغل في عالمه الجديد الذي فرضته عليه حياته العملية؛ طلبت منهما أن نلتقي لأني في حاجة للحديث معهما... طلبت منهما أن يأتيا لمنزلي لأني لا أريد الذهاب لأي مكان... صوتي كان من الضَعف والهزيمة مما جعلهما يأتيان مسرعين.

كانت ليلة مقمرة وفتحت النافذة ليتسلل منها ضوء القمر وتنظر إلينا السماء بأعينها اللامعة المضيئة؛ وكان كل من رضا وحسن في حالة قلق مما بدا عليّ من نحول واصفرار؛ وكلًا منهما يسألني بعينيه قبل لسانه عما حدث لي:

- لقد تركت هدى.

اتسعتْ عينيّ رضا وقال حسن باندهاش:

- بعد كل هذه الأعوام... لماذا؟

وعقب رضا وهو يهز رأسه من أعلى لأسفل:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- كنت أعلم أن هذا اليوم سوف يأتي... هذه البنت متطلبة، والغنى والمظاهر في أعلى قائمة اهتماماتها.

نظر إليه حسن وقال:

- انتظر يا رضا ودعنا نفهم ما حدث... احكي يا تاج.

- ببساطة وجدَت مَن هو أفضل مني لها؛ وعلمت أنا بطريقة ما... المهم انتهى كل ما بيننا.

خبط رضا على رجله وهو يقول:

- هل أحضرتنا هنا لتخبرنا برأس الموضوع؛ عناوين الأخبار... أنا أريد أن أسمع التفاصيل.

حكيت لهما التفاصيل؛ شكوكي، براهيني، وحتى مكالمتي الأخيرة معها... انفعل رضا وكان ساخطًا عليها، أما حسن فكان يرى أن هذا أفضل ما حدث لي منذ عرفت هذه البنت، فهي غير متوافقة معي؛ وأضاف وهو يشير ناحيتي:

- يكفي يا أخي أنها لا تحب الكتب مثلك.

- عندك حق يا حسن... لا أدري أين كان عقلي وأنا أتعلق بها وهي لا تحب الكتب؛ أهم شيء في حياتي.

- فلتحمد الله أن هذا حدث الآن قبل أن يكون الارتباط رسميًا أو يكون بينكما أطفال.

- الحمد لله.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ثم سألني رضا:

- هل هناك شيء آخر يا تاج؟ أشعر بك تحمل أكثر من هَمْ.

بالفعل كنت أحمل همًا آخر أكبر وأصعب؛ لكني لم أستطع البوح به لهما؛ ماذا أقول؟ صاحبكما لا يعرف مَن هم أهله؟ ابن مَن هو... وعندما طال صمتي قام حسن من مكانه ووضع يده على كتفي وقال:

- لا عليك يا تاج... لا تقل شيئًا لا تريد قوله الآن... لكن تأكد من أننا تحت أمرك وقتما تحتاج إلينا... اتصل بنا في أي وقت وسنكون هنا أمامك.

وقال رضا ليُخفف من وطأة الجو المشحون:

- نعم، مثل عفريت العلبة... "شُبيك لُبيك رضا وحسن بين إيديك".

وضحك قليلًا ولم نضحك أنا وحسن.

انشغالي بسر أهلي الذين لا أعرفهم وقريتي التي أصابتها لعنة أنساني هدى وما فعلته بي؛ وربما اكتشفت أنني لم أكن أحبها بالقدر الكافي الذي كنت أظنه... كنت أتجنب رؤيتها في المستشفى وكذلك كانت هي تفعل؛ وبعد عدة أسابيع كانت مناقشتها لرسالة الماجستير والتي يُشرف عليها دكتور رياض؛ حصلت عليها في عدد سنين أقل وبتقدير امتياز، ثم في الأسبوع الذي يلي حصولها على الماجستير علمت وعلم الجميع بنبأ ارتباطها برياض... كانت حديث القسم والأقسام الأخرى في المستشفى؛ إنها شخص يعرف جيدًا من أين

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تُؤكل الكتف، لا أدري كيف انخدعت فيها كل هذا الوقت... هنيئًا لها المال والجاه والحياة.

واظبت على الاتصال بأبي كل يومين أو ثلاثة؛ كان مجرد سماع صوته يعذبني؛ أنا بشكل ما أخدعه، أنا لست ابنه وهو لا يعرف... تحدثت مع رضا عن حالة أبي المرضية فطلب مني أن يذهب ليراه؛ ذهاب رضا معي خفف عني ثِقَل دخولي هذا البيت بعد كل هذه الأعوام... استقبلتنا زوجة أبي بفتور عوضه ترحاب ندى التي أصبحت أطول وأجمل... إخوتي الثلاثة لا يشبهوني في شيء، لا في الشكل ولا في درجة الصمت؛ بالطبع فهم ليسوا إخوتي.

كان أبي في حجرته لا يغادر الفراش؛ فحصه رضا ورأى كل الأشعة والأدوية وطمأنه بأنه بخير؛ لكن ونحن في طريقنا للعودة قال لي بأسى:

- الحالة متأخرة يا تاج... أعتقد أنها مسألة أسابيع أو أشهر قليلة.

وسط كل هذا الذي أحياه أصبحت خطابات فراق هي الشيء الوحيد الذي يمنحني السعادة التي هجرتني؛ وجاء خطابها الثالث كالآتي:

٣- عزيزي صاحب الأيدي المعطاءة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ذهبت اليوم للكلية؛ كلية الهندسة كي أدفع المصاريف وأقوم باستخراج الكارنيه (مرفق مع هذا الخطاب كشف حساب بالمصروفات التي دفعتها اليوم).

قمت بعملية استكشاف للمكان؛ فأخذت أسير بين المباني المختلفة وأنظر لكل شيء محيط بي... الكلية كبيرة ومبانيها متعددة؛ رأيت طلابًا مثلي لكني لم أتحدث مع أحد منهم ولم أحاول حتى؛ كانوا يرتدون ملابس جميلة ويبدو عليها أنها غالية الثمن؛ للحظة شعرت بفقر ملابسي بينهم وفقر حالي؛ هم أبناء الطبقات العليا وأنا بنت المقابر... لكني على الفور رفعت رأسي لأعلى ومشيت منتصبة القامة وأنا أقول لنفسي "أنا أرتدي مجموع كبير ٩٧%"... من البداية يجب أن أكون حازمة مع نفسي ومع الجميع؛ فمَن سينظر لملابسي وفقري فلا أريد معرفته؛ لكن مَن سينظر لمجموعي وعقلي فأهلًا به... هل توافقني على تفكيري هذا؟ أعتقد نعم؛ لأنك أول إنسان لم ينظر لهذا ونظرت لطموحي وحلمي.

بعد عدة إجراءات في الكلية، من مكتب لمكتب ومن طابق لطابق استلمت "الكارنيه" في يدي... نظرت إليه سعيدة أتفحصه وأنا أقول بصوت مرتفع: "فراق جابر متولي؛ إعدادي هندسة"... وعلى الجانب الأيسر من "الكارنيه" تتربع صورتي وأنا أضحك للكاميرا وللعالَم وما فيه.

في طريق عودتي للمترل اشتريت (من نقودي) بعض الساندويتشات التي أحبها؛ "شاورما فراخ وكفتة"، واشتريت أيضًا لأم سعد معي... وذهبت لحجرتها ففتحت لي الباب؛ سلمت عليها وأخرجت "الكارنيه"

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كي تراه؛ كانت أول مَن رأته... باركته لي وتمنت لي النجاح الدائم... وجلسنا معًا نأكل الساندويتشات.

دعني أُحدثك قليلًا عن أم سعد... فهي كل ما أعرف الآن في حياتي بعد أن هجرتني أخواتي البنات ولم أعد أرى واحدة منهن؛ على كل حال أنا أعذرهن؛ الحياة مشاغل ومَن يخرج من المقابر لا يحب أن يعود إليها مرة أخرى؛ أنا أتفهم هذا جيدًا ولا أشعر بالغضب من أيٍ منهن؛ وليسعدهن الله.

أم سعد كان زوجها "عم حسين" عامل نظافة في وزارة الزراعة؛ وبعد أن مات أصبحت تتقاضى معاشًا ضئيلًا تعيش منه... أما ابنها الوحيد سعد فقد تمرد على الفقر وعلى أمه؛ وفي نوبة غضب من نوباته المتكررة ترك لها الحجرة ولم يعد مرة أخرى؛ اختفى منذ ما يقرب من عشر سنوات... قاست أمه كل أنواع العذاب؛ بحثت عنه في الشوارع وسألت عنه كل مَن قابلته؛ وما زالت تعيش هذا العذاب وهي لا تعرف له طريق؛ أحي هو أم ميت؟ حر أم سجين... بكته كثيرًا حتى ضعف بصرها؛ ومنذ عدة أعوام ضعف سمعها؛ فأصبحت لا تُغلق باب حجرتها من الداخل في المساء قبل أن تنام؛ تخاف أن يعود سعد ويُطرق الباب فلا تسمعه، فيذهب من حيث أتى؛ لذلك فهي تترك له الباب مفتوحًا... وفي النهار تجلس على عتبة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حجرتها تنظر لكل الوجوه التي تمر بها؛ تبحث فيهم عن سعد... ما أضعف قلوب الأمهات وما أقسى قلوب الأبناء مثل هذا الابن.

أستاذ محمد إبراهيم أعطاني نسخة من مفاتيح المكتبة؛ وقال لي نظرًا لظروف دراستي في الكلية فإنه لن يقيدني بمواعيد عمل محددة؛ ويمكنني أن أفتح المكتبة في الأوقات التي لن أكون فيها في الكلية... كم هو كريم ورائع هذا الرجل؛ مثلك تمامًا... محظوظة أنا بكل هذه القلوب البيضاء.

أنا الآن أعد الأيام حتى اليوم الأول في الدراسة؛ وكأنني طفل يحلم بارتداء ملابسه الجديدة في أول أيام العيد... هل تعرف كم عيدًا ينتظرني؟

مودتي وشكري.

فراق

بعد قراءتي لخطاب فراق هذا تذكرت خطابات المجنونة التي كانت تكتبها للأشياء وتلقيها من النافذة؛ وأنزل أنا للشارع فآخذها وأقرأها ثم أحتفظ بها... مع الفارق الشديد في أن هذه خطابات عاقلة؛ عاقلة جدًا.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١٣

توقفت عن دراستي في رسالة الماجستير واكتفيت بساعات العمل في المستشفى، وكنت أواظب على دفع أقساط الشقة التي كان الانتهاء منها يسير بشكل جيد وأعيش مما يتبقى لي من راتبي الذي أضع البعض منه في حساب فراق كل شهر... أبعدت هدى وكل ما يتعلق بها عن رأسي وتوقفت تمامًا عن التفكير فيها وفيما فعلته بي، وصببت كل تركيزي وجهدي على ما يجب أن أقوم به تجاه الماضي الذي فتح فاه في وجهي فجأة يريد أن يبتلعني.

كل يوم أُنهي عملي في المستشفى وأُغادر سريعًا فأتناول وجبة اليوم الرئيسية في أحد المطاعم المتوسطة السعر، ثم أذهب لأحد العناوين التي معي لأعضاء اللجنة التي أشرفت على مأساة قريتي المحترقة؛ قريتي الملعونة... أبحث عنهم وأشتاق للكلمات التي سأسمعها منهم؛ ويوميّ الأجازة الأسبوعية كنت أخصصهما للذهاب إلى العناوين البعيدة.

بدأت البحث باسمَي الطبيبين؛ ذهبت للمستشفى التي كانا يعملان بها؛ وجدت أحدهما قد توفي في حادث سيارة والآخر قد هاجر خارج البلاد... كانت بداية بحث غير موفَقَة وحزنت لتسرب هذا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الخيط الهام من بين يديّ؛ لكني لم أيأس وواصلت البحث عن الطبيب النفسي فلم أستطع أن أعثر له على مكان؛ قام بتغيير عنوانه واختفى بحيث لم أعثر حتى على أحد يتذكره.

المرض وجدته قد فارق الحياة من شهرين فقط... واصلت بحثي عن الباقيين وقد كان شيئًا غريبًا للغاية أن كلهم إما ماتوا أو قاموا بتغيير عناوينهم ولا أحد يعرف عنهم شيئًا... بقيّ لي اثنان فقط؛ إحسان الممرضة والأستاذ سمير أحد موظفي مجلس المدينة من أعضاء اللجنة.

ذهبت أولًا لبيت إحسان الممرضة في العنوان الذي استطعت الحصول عليه؛ فتح لي الباب ما توقعت أنه ابنها؛ سألته عنها فقال لي إنها سافرت بالأمس في عمرة إلى الأراضي السعودية وستعود بعد أسبوعين؛ ذهبت لها متأخرًا يومًا بأكمله... تمنيت لها أن تعود بالسلامة وسعدت بأني وجدت أخيرًا أحدًا يمكن أن يساعدني؛ أحد ما قد رآهم.

ثم ذهبت إلى العنوان الأخير الذي بقيّ معي؛ عنوان الأستاذ سمير... فتحت لي الباب فتاة صغيرة في المرحلة الثانوية؛ أخبرتها بأنني أقوم بعمل بحث عن موضوع كان يعمل فيه والدها منذ حوالي سبع وعشرين سنة؛ لم تفهم كثيرًا مما أقول ووقفت على الباب حائلة بيني وبين الدخول إلى أن جاءت من ورائها والدتها التي لم تشك في نواياي من مظهري الذي دائمًا ما يعطي انطباعًا جيدًا للآخرين عني، أدخلتني البيت وأنا أقول:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أعتذر عن حضوري هذا بدون ميعاد وإزعاجكم؛ لكني أقوم ببحث هام وأحتاج للحديث مع أستاذ سمير.

- لا عليك يا بني؛ لكن الحديث معه لن يفيدك بشيء.

- لماذا؟

- بعد أن أصبح سمير على المعاش بدأ ينسى بشكل غير طبيعي؛ ثم اكتشفنا أنه أُصيب بالزهايمر.

أصابني هذا الخبر باكتئاب؛ ها هو أحد الباقيين على قيد الحياة ممَن عاصروا المأساة يصبح عديم الفائدة:

- دعيني أحاول؛ ربما تذكر شيئًا.

- كما تحب... انتظر قليلًا حتى أحضره.

ذهبت زوجته لتُحضره وجاءت الفتاة مرة أخرى تحمل لي كوبًا من الشاي كنت في حاجة إليه... وبعد قليل جاء الأستاذ سمير تقوده زوجته إلى أن أجلسته على كرسي بالقرب مني؛ وجلست هي على مقربة منا... رجل بشعر أبيض ولحية بيضاء؛ زائغ النظرات مرتعش الأيدي:

- أستاذ سمير... هل تذكر منذ ما يقرب من سبع وعشرين سنة عملك في اللجنة التي كانت تتابع حالة القرية التي احترقت ثم أُصيب كل الناجين منها بفقدان ذاكرة... هل تذكر شيئًا عن هذا الموضوع؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان ينظر لي وكأنني لوحة داخل إطار؛ بالتأكيد هو سمعني لكن يبدو عليه أنه لم يعي شيئًا مما قلت:

- أنا لم أُولد في قرية... أنا ابن المدينة.

- حاول أن تتذكر عملك في مجلس المدينة؛ عملك مع هؤلاء الناس الذين فقدوا الذاكرة.

- أنا ذاكرتي قوية؛ أنا أتذكر أني أكلت تفاحة بالأمس.

كانت زوجته على حق؛ بهذه الطريقة لن أخرج منه بأية معلومة مفيدة... شكرته وربت على كتفه ثم نظرت لزوجته شاكرًا إياها ومشيت متجهًا للخارج وهي تتبعني؛ وفي الصالة قالت لي ابنته عندما رأتني:

- وأنا أبحث في أوراق أبي وجدت عدة مفكرات كان يكتب بها مذكراته؛ عشر مفكرات؛ كل منها مكتوب عليه العام الذي كُتبت فيه؛ ربما وجدت لك في هذه المذكرات شيئًا قد يفيدك.

قفزت السعادة في قلبي وأنا أسمع هذا؛ ورجوتها أن تُحضر هذه المفكرات فربما فيها العام الذي أبحث عنه؛ ١٩٨١ و ١٩٨٢... أحضرتها وكانت تسعة مفكرات منها في الستينات والسبعينات؛ وواحدة فقط لعام ١٩٨٢... شعرت وكأنني عثرت على كنز؛ أمسكت المفكرة بفرح طفولي؛ وطلبت من الفتاة وأمها أن يسمحا لي بأن آخذها كي أقرأ ما فيها؛ فقالت لي الفتاة:

- لكن ربما بها أشياء ليست لها علاقة بموضوع بحثك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أعدك بألا يقرأ هذه المفكرة أحد غيري؛ ولن أهتم بأي شيء فيها غير ما أبحث عنه.

- وستعيدها لنا مرة أخرى؟

- بالتأكيد بمجرد أن أنتهي من قراءتها... ولو سمحتِ لي سأقوم بتصوير الأوراق التي فيها معلومات عن هذه القرية وأهلها.

بدا عليها التردد ثم أومأت برأسها... فشكرتها بشدة؛ وأعطيتها رقم تليفوني وعنواني حتى تطمئن إلى أنني سأعيد المفكرة.

لم أخرج خالي اليدين من ذلك المنزل بل خرجت بذكريات شخص كان قريبًا من أهلي.

قبضت على المفكرة بقوة وكأني أقبض على شيء غالٍ وثمين؛ وفي طريقي للمنزل اشتريت وجبة من دجاج مشوي وأرز وسلطة وعدت للبيت مفتوح الشهية للأكل والقراءة؛ قابلني على السلم جاري الأستاذ مينا، سلم عليّ بحرارة ودعاني بإصرار لكوب شاي في منزله، دخلت معه شقته ووضعت على المنضدة الطعام الذي معي وطلبت منه أن يجلس ليأكل معي؛ ابتسم بسعادة وأحضر مزيدًا من الطعام من المطبخ وأكلنا سويًا؛ وبعد الطعام عرض عليّ لوحة جديدة من لوحاته التي يرسمها، كانت جميلة بألوانها الزيتية وعيون أبطالها المبتسمة... تركته وعدت لمنزلي مع وعد بأن أزوره مرة أخرى لرؤية باقي اللوحات.

فتحت النافذة وأعددت كوبًا كبيرًا من الشاي وجلست أحتسيه وأقرأ.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان خط الأستاذ سمير صعب فك طلاسمه لكني حاولت بكل ما استطعت من جهد... تحدث في بداية مذكراته عن محاولاته الفاشلة في التوقف عن التدخين؛ وعن الأفلام الحديثة التي يشاهدها... كان أيضًا يكتب عن الأطعمة التي يحبها والأوضاع الجنسية التي يفضلها؛ تعجبت من أن أحدًا يكتب مذكراته عن شيء كهذا لكني واصلت القراءة في تلك الأشياء التي لا قيمة لها إلى أن وجدت الصفحة التي كتب فيها عن انضمامه للجنة متابعة حالة القربة الملعونة؛ هكذا وصفها في مذكراته؛ كتب عن سعادته بهذا الانضمام لأنه سيأخذ مكافأة مادية كل شهر مقابل وجوده في هذه اللجنة؛ ثم إنه لم يكتب شيئًا مفيدًا عن عمله داخل هذه اللجنة؛ عاد لكتاباته الغريبة عن الطعام والجنس والأفلام واستخدامه لنوع جديد من السجائر.

كانت تلك المذكرات مخيبة جدًا لآمالي؛ ولم أجد بها ما كنت أبحث عنه؛ أضعت ليلة بأكملها في قراءتها وخرجت منها بلا شيء... فقط صفر كبير الحجم.

في اليوم التالي وبعد انتهائي من العمل أخذت المفكرة وأعدتها لبنت الأستاذ سمير؛ شكرتها ونصحتها بألا تقرأها لأنه لا يجب أن نخترق أسرار الآخرين؛ أشفقت عليها من أن تقرأ تلك الهلاوس الجنسية التي كان يكتبها أبوها.

اجتهدت أكثر في عملي وأنا أنتظر عودة إحسان الممرضة من العمرة... هي أملي الأخير وسط هذه المتاهة التي أنا فيها.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كل يوم في المستشفى كنت أسأل عن وصول خطابات جديدة؛ أصبحت أشتاق بشدة لكلمات فراق التي تكتبها لي؛ لي وحدي، إلى أن جاءني خطابها الرابع:

٤- عزيزي الدكتور الرائع تاج

إنه اليوم الأول لي في الكلية؛ كلية الهندسة... بالأمس اشتريت (من نقودك) بعض الأقلام والدفاتر... فلا بد أن أذهب للكلية في يومي الأول متسلحة بشيء ما في يديّ؛ فكل حرب تحتاج لأسلحة... وها أنا ذا أخوض حربي الأهم... والحرب في مجال العلم أسلحتها أقلام وأوراق وكتب وعقل.

ذهبت مبكرة حتى لا يفوتني شيء منذ بداية العام... دخلت المبنى الكبير وأنا أتأمل كل ما حولي؛ أبحث عن أماكن محاضرات إعدادي هندسة؛ وصلت حتى لوحة الإعلانات التي بها جدول المحاضرات... نقلتها في الدفتر الذي كان معي ثم بدأت أبحث عن مكان المُدرَّج الذي ستبدأ به محاضرتي الأولى؛ محاضرة الميكانيكا... وجدت المُدرَّج ودخلته سعيدة؛ كان به عدد قليل من الطلبة فجلست في الصف الأول منه وأخذت أنظر للحوائط والسقف والأرضية؛ وأحببت لون الخشب البني النظيف ورائحة المكان الجميلة؛ أعتقد أنها رائحة العلم الذي قيل هنا على مدار أعوام طويلة إلى أن تشبع به هواء المكان... ثم بدأ الطلبة يتوافدون ويكثر عددهم لكن ظل المُدرَّج غير ممتلئ.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في الثامنة تمامًا رأيت رجلًا عجوزًا يدخل من باب المُدرَّج ويُغلقه خلفه ويتجه بخطوات متأنية ثابتة للمنصة ويقف عليها... أخذ ينظر إلينا ويتفحصنا في صمت... كانت له هيبة جعلت كل مَن كان يتحدث يتوقف عن الكلام... ثم فتح الباب أحد الطلبة وخطا خطوات قليلة داخل المكان فنهره ذلك العجوز وطلب منه أن ينتظر بالخارج، ثم واصل تفحصه لنا في صمت إلى أن أصبحت الثامنة وعشر دقائق؛ فذهب بنفس الخطوات الثابتة المتأنية لباب المُدرَّج وفتحه وطلب من كل الذين كانوا يقفون هناك بالدخول... كانوا يخطون لداخل المُدرَّج وكان هو ينهال عليهم بوابل من التوبيخ على تأخرهم عن موعد المحاضرة؛ وظل واقفًا على الباب يجلد بكلماته كل متأخر إلى أن دخل آخرهم فأغلق الباب واتجه للمنصة ووجه حديثه إلينا جميعًا:

– أنا دكتور عمر؛ سأُدَرِس لكم هذا العام مادة الميكانيكا، ولحضور محاضرتي قواعد، فهي دائمًا تكون في أول اليوم وسيتم غلق باب المُدرَّج في تمام الثامنة؛ أما الطلبة الفاشلين المستهترين ممَن يتأخرون عن الثامنة سأسمح لهم بالدخول في الثامنة وعشر دقائق؛ ولا أحد يدخل المُدرَّج بعد هذا الوقت... لن أكرر هذا الكلام مرة أخرى والحاضر يُعلِم الغائب.

أنهى تعليماته التي تلقيناها جميعًا بصمت ورهبة ثم بدأ يكتب على السبورة الدرس الأول في مادة الميكانيكا، وبدأت أنا أكتب في دفتري كل كلمة يقولها أو يكتبها على السبورة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

جلَسَت بجانبي فتاة جميلة؛ أطول مني بقليل، كانت من المتأخرات وقد احمر وجهها من وابل التوبيخ الذي تلقته مع باقي المتأخرين؛ بالتأكيد لم تكن تتوقع أن أول يوم لها في الكلية بل أول محاضرة سيحدث لها كلّ هذا... لم يكن معها شيء تكتب فيه المحاضرة؛ لا أدري كيف يحضر طالب للكلية بلا أي أسلحة هكذا... أعطيتها قلمًا وورقتين قطعتهما من الدفتر.

بعد انتهاء المحاضرة شكرتني وقالت لي أنها لم تتوقع أن يأخذوا شيئًا في أول يوم دراسة، وأضافت أن اسمها "وجدان" ثم مدت لي يدها فصافحتها بحرارة وأنا أقول لها: "اسمي فراق"؛ استغربت اسمي لكنها ردت لي المصافحة بأخرى مثلها؛ وظللنا معًا حتى آخر اليوم الدراسي... أعتقد أننا سنصبح أصدقاء؛ هي رقيقة وترتدي ملابس جميلة واسمها أيضًا جميل؛ "وجدان"... هل تعتقد أننا سنُصبح أصدقاء؟

تحياتي وسلامي.

فراق

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١٤

بعد حوالي ثلاثة أسابيع من زيارتي الأولى لبيت إحسان الممرضة عدت لبيتها مرة أخرى؛ فتحت لي الباب هذه المرة طفلة صغيرة في حوالي التاسعة من عمرها؛ سألتها عن "الست إحسان" فقالت لي إن جدتها تصلي؛ انتظرت على عتبة الباب إلى أن فرغت من صلاتها وجاءت لتقول:

- أهلًا يا بني... حضرتك صديق أحمد ابني؟

- لا يا "حاجة إحسان"... أنا كنت أريد أن أسألك عن موضوع قديم بخصوص عملك.

- موضوع قديم؟ تفضل يا بني ادخل.

تفضلت ودخلت وجلست في "الصالون" وجلَسَت هي أمامي تتفرس في ملامحي في محاولة منها لتذكري؛ ثم قالت:

- أعتقد أني أراك لأول مرة... لا أتذكر أني رأيتك من قبل.

- هذا صحيح... هذه أول مرة أرى فيها حضرتك.

- وما هو الموضوع القديم الذي تريد أن تسألني عنه؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- باختصار أنا أقوم ببحث عن القرية التي احترقت منذ ما يقرب من سبع وعشرين سنة وفقد أهلها ذاكرتهم... حضرتكِ كنتِ من ضمن اللجنة التي تعاملت مع الناجيين من الحريق.

فتحت عينيها ووضعت يدًا فوق يد وسرحت ببصرها بعيدًا وهي تقول:

- ياه يا بني فكرتني بالذي مضى؛ فكرتني بمصباح٧ الله يرحمه والأمانة التي وضعها بين يديّ ولا أستطيع ردها لصاحبها.

- مَن هو مصباح٧... وما هي هذه الأمانة؛ وماذا تتذكرين عن القرية وأهلها؟

- ما كل هذه الأسئلة؛ وكأنك تعرفهم.

- كلام حضرتك مهم بشدة للبحث الذي أعده؛ أرجوكِ قولي لي كل ما تعرفينه.

- سأقول لك؛ أنا أتذكر كل شيء وكأنه كان بالأمس... لكن انتظر قليلًا سأحضر لك أولًا شيئًا تشربه.

لم أكن أريد أن أشرب شيئًا؛ كنت في شوق لكي أسمع... غابت داخل المنزل وقمت أنا من مكاني من فرط حماسي وسعادتي بعثوري على هذه الذاكرة الحية التي تتذكر كل شيء، وأخذت أمشي في الصالون ذهابًا وإيابًا أعد الثواني حتى تأتي وتحكي لي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

جاءت تحمل صينية عليها كوبين من الشاي؛ وضعتها أمامي وتناولت كوبها.. أخذت تشرب منه وتحكي؛ وأنا قد تعلقت عينيّ بشفتيها:

- كنت ممرضة شابة وفرحت بانضمامي للجنة؛ واجتهدت في مساعدة كل الذين نجوا من الحريق؛ كان من بينهم شخص متميز جدًا اسمه مصباح٧، لا يكف عن طرح الأسئلة... في المخيم الذي كانوا يقيمون فيه كنت أعمل في العيادة التي به وهو يأتي من وقت للآخر ويبدأ في السؤال عن تطورات حالتهم والجديد فيها؛ كنت أرى تذمر الطبيب المناوب من كثرة أسئلة مصباح٧ فكنت أُشفق عليه وأحاول من ناحيتي أن أجيبه على تلك الأسئلة على قدر معرفتي ومعلوماتي... فكان فيما بعد يتجنب الأطباء ويأتي خصيصًا للحديث معي... أخبرته عن مرض الزهايمر ووجدته لا يعرف معنى هذه الكلمة؛ شرحت له ما أعرفه عن المرض، وكأن ما شرحته لم يكن كافيًا له فطلب مني كتابًا عن مرض الزهايمر فأحضرته له... وهكذا كان يغيب لبضعة أيام ثم يعود بأسئلة جديدة.

وبعد عام من اللعنة التي حلت بهذه القرية بدأوا يموتون الواحد تلو الآخر وكنت في اللجنة التي أشرفت على تغسيل وتكفين الموتى ودفنهم... كان مصباح٧ آخر مَن مات، بكيته كما لم أبكِ عزيزًا لي؛ وكأنه واحد من أهلي... وقبل أن يموت بيوم واحد أرسل في طلبي... قال لي أن لديه أمانة ولا يجد أحد غيري يمكنه أن يحملها؛ أراد أن يترك هذه الأمانة للناجي الوحيد من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

اللعنة؛ ذلك الطفل الوحيد الذي وُلد بعد وقوع اللعنة عليهم وكان اسمه "تاج" والذي اختفى في ظروف غامضة وتركني بأمانة لا أعرف كيف أردها لصاحبها".

عندما نطقت اسمي اقشعرت كل خلية من خلايا جلدي وتسارعت أنفاسي ونبتت بعض قطرات من العرق على جبيني؛ وأردت أن أعرف منها المزيد عني فسألتها:

- ماذا تعرفين عن الطفل تاج؟

- كان طفلًا جميلًا بشوش الوجه يضحك باستمرار؛ أنا التي حملته بيديّ وذهبت به إلى الملجأ بعد أن ماتت أمه وكان الجميع من حوله يموتون... ومسألة اختفائه ما زالت تحيرني وتؤلمني.

- ست إحسان.

- نعم يا بني.

- أنا تاج.

ضيقت عينيها ونظرت لي غير مصدقة ثم قالت:

- كيف هذا؟ وكيف عرفت أنك تاج؟ أرجوك لا تكذب في شيء كهذا حتى أعطيك أمانة ليست لك.

- أنا لا أكذب... أنا عرفت أني تاج ابن هذه القرية من بضعة أشهر فقط... عشت عمري كله وأنا أعتقد أني ابن أبوين آخرين... أنتِ أول مَن أخبره بهذا السر الذي أحمله وحدي منذ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أن عرفته... سأحكي لكِ عما جاء في خطاب أمي التي ربتني والتي ماتت من أعوام طويلة.

قصصت عليها كل ما جاء في خطاب أمـي وكيف أنها بمساعـدة "ست فتحية" أخذتني من الملجأ دون أن تعرف حكايتي؛ وكيف أني عشت كل هذا العمر وأنا أحمل اسم أبوين لم يكونا أبوايّ... حكيت لها عن حيرتي وضياعي منذ أن عرفت هذا السر؛ وكيف أني لم أترك أحدًا تعامل مع أهل هذه القرية إلا وبحثت عنه، وذهبت وتحدثت إلى كل مَن استطعت العثور عليهم لكني لم أخرج بشيء مفيد.

كانت تضرب كفًا بكف وهي لا تكاد تصدق ما تسمعه ثم قالت لي:

- شيء أخير أريد أن أعرفه عنك حتى أُصدق أنك بالفعل تاج.

- سأخبركِ بكل ما أعرفه... اسأليني؟

- تاج كان يوجد على كتفه الأيسر "وحمة" بحجم بلحة تُشبه قطعة كبد بنية اللون.

عند سماعي لكلماتها هذه تأكدت من أني ابن هذه القرية، تأكدت من أني تاج؛ وعلى الفور أزحت القميص الذي كنت أرتديه وعريت كتفي وأريتها "الوحمة" التي تُشبه قطعة كبد بنية اللون؛ تمامًا كما وصفتها؛ في حجم بلحة.

عندما رأتها أمسكت بيدي وأخذت تبكي؛ حاولت تهدئتها لكنها استمرت في البكاء ثم قالت من بين دموعها:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- لقد دعوت الله وأنا في العمرة أن أستطيع العثور عليك حتى أعطيك الأمانة التي طال حملي لها؛ دعوته ألا أموت قبل أن أجدك... وها هو قد لبى دعائي وأرسلك لي بأسرع مما كنت أتصور... سبحانك يا رب... الحمد لله.

كانت المفاجأة التي وُضعنا فيها نحن الاثنين أكبر من قدرتنا على التصديق لكنها كانت حقيقية ولا تشوبها شائبة... سألت "ست إحسان" عن اسم أمي فقالت لي أنه كان اسمها "أسورة" لكنها لم تتذكر الرقم الذي كان يتبع الاسم.

دخلت لداخل المنزل لتُحضر الأمانة التي تركها لي مصباح٧ الذي لا أعرف عنه شيئًا؛ ولماذا ترك لي هذه الأمانة كل هذه الأعوام؛ وترى ما هي؛ كنز من جواهر أم قطعة أثرية أم ماذا؟ ظللت أقلب في رأسي احتمالات ما قد تكون عليه هذه الأمانة التي تأتيني من الماضي إلى أنا عادت "الست إحسان" بها؛ تحملها بين يديها كشيء ثمين تخشى أن يقع منها؛ حقيبة جلدية سوداء اللون صغيرة الحجم بهت لونها بفعل الزمن... قدمتها لي وهي تقول:

- هذه هي الأمانة؛ بداخل هذه الحقيبة دفتر يريدك أن تقرأ ما فيه... ما زلت أتذكر كلمات مصباح٧ لي في المرة الأخيرة التي رأيته فيها وهو يعطيني هذه الحقيبة لأعطيها لك عندما تكبر، وعندما سألته ماذا سأقول لك وأنا أُعطيك هذا الدفتر... قال لي: (قولي له: شخص من قريتك ربما كان قريبًا لك أو لا لكنك كنت آخر ما كان يفكر فيه قبل موته).

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أخذت الحقيبة منها واحتضنتها وكأني أحتضن أهلي الذين لا أعرفهم؛ ثم سألتها إن كانت تحدثت مرة أخرى مع مصباح٧ قبل أن يموت أم لا فقالت لي:

- لا... مات بعـــد أن أعطاني الحقيبة بيوم واحد... وسمعت مـن الذين وقفوا على غُسله أنه كان مبتسمًا وكأنه رأى قبل موته ما أسعده.

- وماذا حدث بعد موت مصباح٧؟

- أحرقوا متعلقات كل الذين كانوا في المخيم ثم أزالوه... وقبل أن أترك المكان ذهبت للمقبرة التي كانت تضم موتى القرية ممَن أصابتهم اللعنة؛ كنت أتمنى لو عرفت في أي بقعة كان يرقد مصباح٧، لكنها كانت مقبرة جماعية... فوقفت هناك ودعوت لهم جميعًا ثم خصصت مصباح٧ بالدعوات... أما الملجأ الذي اختفيت منه فقد ظلوا يتكتمون على خبر اختفائك لعدة أسابيع في محاولة منهم للعثور عليك، ثم أعلنوا الخبر للجميع؛ حزنت بشدة على اختفائك وذهبت إليهم أسأل عنك لكن دون جدوى... وكان هذا آخر عهدي بهذه الحكاية إلى أن جئت أنت اليوم ففتحت بوابة الماضي على مصراعيها أمامي.

- سؤال أخير يا ست إحسان... كيف كان شكل أمي؟

- كانت بيضاء بعيون عسلية مثلك.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١٥

عدت للبيت مشحونًا بعواطف شتى، أحمل أمانة حُفظت لي عمرًا بأكمله؛ مشتاق لأن أعرف محتواها؛ ويبدو أن الحقيبة تحتوي على ما هو أكثر من الدفتر الذي أخبرتني "ست إحسان" أنه بداخلها... تُرى ماذا تركت لي يا مصباح٧؟

لاحظت أني أصبحت أُكثر الأسئلة حتى لنفسي؛ أسئلة لا أنتظر إجابتها... يبدو أني أتأثر يومًا بعد يوم بخطابات فراق التي ينتهي كل منها بسؤال... ماذا عساها قد تقول إذا حكيت لها قصتي هذه؛ قد تعتبرها إحدى الروايات التي لم تقرأها بعد... أنا نفسي لولا أني في قلب الحَدَث لاعتبرتها رواية من خيال كاتب؛ فبما أمتلكه من قدرات غريبة لحواسي يمكن أن أُصبح مشروع رواية خيالية.

كانت الساعة قد قاربت العاشرة مساءً ولم أكن لأنام حتى أعرف ما تحتويه هذه الحقيبة... أكلت طعامًا سريعًا مما وجدته في البيت وأعددت كوبًا كبيرًا من الشاي وجلست متربعًا في وسط السرير أنا والحقيبة وأنفاسي المتلاحقة... وبيد متلهفة فتحتها.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

هبت عليّ من داخلها رائحة مكتومة لعطر ما؛ أُيعقل أني أشم رائحة الماضي الراقد فيها؟ ثم تبينت في الرائحة عطر الفل المخبأ لعشرات الأعوام... أخرجت الدفتر الذي كان ملفوفًا في قميص أبيض أصفر لونه وهو مصدر الرائحة التي شممتها، كان الدفتر ملفوفًا جيدًا بالقميص مربوطًا بأكمامه؛ وقبل أن أزيل عنه القميص نظرت في الحقيبة فوجدت شيئًا آخر بها؛ ساعة يد فضية اللون؛ أخرجتها وكانت عقاربها متوقفة عن الحركة؛ تُشير إلى الحادية عشرة وسبع دقائق... وضعتها على السرير ونظرت مرة أخرى داخل الحقيبة ولم يكن بها شيء آخر، فعدت للدفتر وأخرجته من حضن القميص الذي ضمه كل هذه الأعوام.

في الصفحة الأولى من الدفتر وفي منتصفه تمامًا كتب مصباح٧ بخط أزرق سميك يبدو أنه أعاد القلم عليه عدة مرات (قرية ولعنة)... قلبت الصفحة الأولى فوجدت في الصفحة التي تليها الكلمات الآتية:

إلى تاج... الذي لا يعرفني ولن أحيا حتى أعرفه... الامتداد الوحيد لعمري الأربعيني الذي لا أعرف منه غير عام واحد.

إذًا فهو يخصني أنا وحدي بهذا الإرث الثمين... قلبت صفحات الدفتر فوقعت عينايّ بين صفحاته على بعض خصلات شعر أسود اللون؛ هل هذا هو شعرك يا مصباح٧؟ هل أردت أن ألمس شيئًا حيًا منك بعد موتك؟ تذكرت وأنا ألمس هذا الشعر خصلة شعر أمي رجاء الذي قصصته منها وهي ترقد مريضة بالسرطان؛ ها هو شعر آخر يأتيني عبر الزمن دون أن أكون أنا من مد يده وقصه... تركت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

خصلات الشعر مكانها وواصلت تقليب صفحات الدفتر فوجدت صورتين لرجل أربعيني العمر؛ صورة للوجه فقط وأخرى للجسم كله؛ ها أنت يا مصباح٧ تُعرفني بنفسك.

نظرت للصورتين جيدًا؛ طويل القامة معتدل القوام؛ ثابت القدمين في الطريقة الواثقة التي يقف بها في الصورة؛ يضع يده اليسرى في جيب بنطاله واليمنى قد استكانت بجانبه؛ ترى هل كان يكتب بيده اليمنى أو اليسرى؟ لا أعرف لماذا انتابني هذا الخاطر وأنا أنظر لكلتا يديه، الظاهرة والمختفية... يرتدي بنطالًا أسود اللون وقميصًا أبيض؛ ربما كان هو نفس القميص الذي لف الدفتر به ليحميه بشيء كان يلتصق بجلده... ملامح وجهه تبدو صارمة مع مسحة وقار؛ لا شارب ولا لحية؛ قمحي اللون؛ في ذقنه نقطة غائرة للداخل وفي عينيه ذكاء متقد... أنفه كبير بعض الشيء وأذناه كذلك؛ أما عن شعره فهو أسود ناعم.

وضعت الصورتين على وسادة السرير ووقفت على الأرض وأخذت أتحدث إليهما بصوت مرتفع: "أهلًا أستاذ مصباح٧... تشرفت بمعرفة حضرتك... وأشكرك من كل قلبي على هذا الذي تفعله معي دون أن تعرفني... لا أدري إن كانت كلمات الشكر هي ما تريده مني أم أنك تريد شيئًا آخر؛ ليت هذا الدفتر يخبرني بما تريد".

انتبهت إلى أني أطلت الحديث لصور صماء لا تسمع فعدت أجلس فوق السرير وأُقلب باقي صفحات الدفتر لكني لم أجد شيئًا آخر بداخله... كان مملوءًا عن آخره بالكلمات؛ ما عدا سبع صفحات فارغة في نهايته... خط أزرق أنيق واضح الحروف... وفي الصفحة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الأخيرة من الدفتر كتب لي مصباح٧ فقرة طويلة يخاطبني فيها ويخبرني بما يحويه هذا الدفتر من أخبار؛ وبأنه هو كل ما كان يملك من ثروة يتركها لي وحدي ويورثني إياها... وفي نهاية فقرته الطويلة هذه يقول لي: (ليس لديّ شيء أورثه لك غير هذا العام من حياة بعض أهل قريتك ولعنتهم... ابحث عنهم يا تاج إن استطعت؛ ابحث عني، ستجد نفسك).

يا له من حِمْل ثقيل يُلقَى على كتفيّ؛ هل أنا أهل لحَمْلِه؟ هل أقدر أساسًا على ثِقَل هذا الحِمْل؟ كيف أجد نفسي بالبحث عنهم وعنك؟ وأين يمكنني أن أجدهم وأجدك؟ يا لها من متاهة.

قفزت كل الأسئلة عديمة الأجوبة في وجهي فقررت أن أؤجلها إلى وقتها وأبدأ بما هو أهم الآن؛ قراءة هذا العام المكتوب في الدفتر.

وظل يشاغب عقلي وينقر قلبي سؤال هام؛ هل من الممكن أن يكون مصباح٧ هو أبي؟

أحضرت علبة كرتونية كانت لزجاجة عطر اشتريتها مؤخرًا؛ عطر الفل الذي أفضله والذي يشبه ما شممته في قميص مصباح٧... وضعت في العلبة الصورتين وخصلات الشعر والساعة وكتبت عليها من الخارج (مصباح٧ - السر - الأمس - الغد) ثم وضعتها في الصندوق الأول (صندوق الأحبة) بجوار الورقة التي بها خصلات شعر أمي رجاء التي رَبتني؛ وها هو مصباح٧ الذي تذكرني وهو يموت.

منذ أن تركت بيت أبي وأنا في الخامسة عشرة من عمري ولم أُدخل أحد للصندوقين اللذين كنت أحتفظ فيهما بذكريات بعض

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مَن مروا بي ثم تركوني: صندوق الأحبة وصندوق الأشرار؛ اكتفيت وقتها بما يحتويه الصندوقين ولم أضع فيهما المزيد... لكن مصباح٧ يجب أن يكون عضوًا أساسيًا في صندوق الأحبة؛ إنه آخر مَن دخل الصندوق بينما في الحقيقة هو أقدمهم رحيلًا.

أما القميص فقد طويته جيدًا ووضعته مع ملابسي؛ إحساسي يقول لي أنني لا بد وأن أرتديه يومًا؛ لكن لم أكن أعرف متى وأين؟

كان كوب الشاي كما هو على المنضدة بجوار السرير لم أشرب منه رشفة واحدة، وقد بردت درجة حرارته؛ فأخذته للمطبخ وصنعت غيره، وعدت للسرير وبدأت أشرب الشاي وأقرأ في دفتر مصباح٧.

ظللت أقرأ إلى أن نمت دون وعي مني ممسكًا بالدفتر بين يديّ... واستيقظت لأجد أني قد تأخرت عن موعد المستشفى ساعة بأكملها؛ يجب ألا يُنسيني الماضي الحاضر الذي أحياه... غسلت وجهي وارتديت ملابسي بسرعة؛ وضعت الدفتر تحت الوسادة وذهبت مسرعًا للمستشفى... هناك وجدت عملية بتر ساق حضرت للطوارئ منذ قليل وفي انتظاري... كانت المرة الأولى التي سأُجري فيها عملية بتر؛ قد شاهدت عملية مماثلة منذ عدة أعوام لكن لم تقطع يديّ من قبل عضوًا كاملًا من جسد... تركتهم يُعدون المريضة للعملية ودخلت المكتب فشربت كوبًا من الشاي وقلبت صفحات مجلد طبي يحوي شرحًا تفصيليًا عن عمليات البتر بالصور؛ كنت قد قرأته أكثر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

من مرة من قبل لكن أردت المزيد من التذكرة؛ ثم ارتديت ملابس غرفة العمليات وقمت بتعقيم يديّ جيدًا.

على منضدة العمليات كانت هناك فتاة في السابعة والعشرين من عمرها ممدة في سكون وقد تم تخديرها تخديرًا كاملًا؛ تعرضت لحادث سيارة وساقها اليسرى في حالة تهتك تام... أخذت أُحضر في ذهني عملية البتر التي شاهدتها من قبل والصور التي طالعتها منذ قليل في المجلد الطبي؛ رسمت دائرة حول الفخذ أعلى الركبة في المكان الذي سأقوم بالبتر منه، ثم بالمشرط شققت الجلد وفصلت العضلات من الأوعية الدموية، وكانت المرحلة الأصعب هي كسر عظمة الساق... إنها من العمليات الصعبة التي أجريتها حتى الآن، واستغرقت عدة ساعات حتى أنهيتها وقد أنهكتني تمامًا.

لقد تغيرت كثيرًا عما كنته منذ عدة أشهر مضت؛ الأحداث التي تمر بي جعلتني أكثر صلابة؛ فلم ترتعش يديّ أو قلبي وأنا أقطع ساق إنسان بيديّ... بعد العملية أثنى طبيب التخدير والممرضات اللاتي حضرن العملية على أدائي في عملية البتر.

خرجت من حجرة العمليات أشعر بالإرهاق الشديد؛ ارتميت فوق المكتب فوجدت هناك خطابًا جديدًا من فراق؛ وقبل أن أفتحه دخلت الممرضة ببعض الأشعة التي يجب أن أفحصها؛ وضعت الخطاب في حقيبتي الجلدية وانهمكت في العمل الذي يتكاثر بطريقة غير عادية.

في حوالي الساعة السادسة مساءً توجهت للحجرة التي ترقد فيها الفتاة التي قمت ببتر ساقها هذا الصباح؛ كانت قد أفاقت من التخدير لكنها بدت شاحبة حزينة؛ كم هو مؤلم أن يستيقظ الإنسان

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فيجد أنه قد فقد عضوًا كاملًا من أعضائه... نظرت للورقة المعلقة على السرير وبها حالتها واسمها وقلت لها:

- كيف حالك الآن يا هند؟

جاوبتني بدمعتين مزقتا قلبي؛ فاقتربت منها وجلست بجوارها على حافة السرير وأنا أقول:

- اسمعيني جيدًا يا هند... أهم عضو في الإنسان هو عقله؛ إذا فقده فقد فقَد كل شيء؛ ولا نفع لباقي الأعضاء على الإطلاق، ولا يوجد عقل صناعي مثلًا... أما الأعضاء الباقية فيمكن تعويضها بأخرى صناعية تفي بالغرض وعلى الأقل لا تمرض ولا تتألم.

ونظرت لها بابتسامة فابتسمت ثم ربت على يدها وغادرت المكان وأنا أتمنى لو أن كلماتي أنارت ظلامًا ما بداخلها.

في الطريق للمنزل كان هناك اختناق مروري؛ ثَبات تام لحركة السيارات لمدة قد تجاوزت النصف ساعة؛ وأنا حبيس سيارتي البيضاء الصغيرة... خلال هذا التوقف الإجباري أخرجت خطاب فراق من حقيبتي وبدأت أقرأ:

٥- عزيزي تاج الخيال

هل تخيلت يومًا أنك سحابة؟ أنا تخيلت؛ في عصر هذا اليوم كنت أنظر من نافذة حجرتي لساحة المقابر الممتدة أمامي ولم يكن هناك غير قط صغير يتجول بين القبور؛ ثم رفعت رأسي لأعلى، للسماء؛ فكان هناك عدة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سُحب متفرقة وكأنها ضائعة في السماء الواسعة تبحث عن مأوى لها... تخيلت أني سحابة مثلهم، وانتابني شعور بأنني سمكة في السماء؛ أسبح في فضائها الأزرق بلا تعب، أنظر للعالَم من أعلى، أرى جماله وقبحه؛ نوره وعتمته... ثم أنهيت تخيلي هذا بأن هَطلْت على الأرض... تساقطت عليها قطرات من حب وسعادة وجمال.

وأنا في هيئة السحابة أتجول في السماء وقبل أن أهطل على الأرض فكرت كثيرًا في اسمك؛ أي تاج أنت؛ وتاج ماذا؟ أراك تصلح لأن تكون تاجًا لأشياء كثيرة جميلة؛ وبالرغم من أني لا أعرف عنك الكثير لكن يمكنني أن أتخيل؛ أنا أساسًا إنسانة تقتات من الخيال؛ إذًا لا تدع الدهشة تُصيبك عندما تراني أبدأ خطاباتي بعزيزي تاج الحياة أو عزيزي تاج الأحلام أو حتى عزيزي تاج الحب.

طرقت الباب يد ما فأخرجتني من تخيلي وأعادتي للواقع؛ فسحبت عينيّ من السماء وقمت لأفتح الباب فإذا بها أم سعد؛ رحبت بها وأدخلتها ثم أعددت كوبين من الشاي... كان يبدو عليها الحزن وكأنها كبرت عدة أعوام منذ آخر مرة رأيتها فيها... سألتها عن أحوالها فأجابتني ببضع دمعات تساقطت من عينيها؛ اقتربت منها ووضعت يدي على كتفها وأنا أسألها عما حدث؛ توقعت أن يكون وصلها خبر سيء عن ابنها الغائب سعد، لكنها قالت لي أن صاحب الحجرة يريد أن يطردها منها؛ له بعض الإيجار المتأخر الذي لم تدفعه لأن المعاش لا يكفي لدفع الإيجار كله وهو

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الآن يريد أن يخرجها من الحجرة ويقوم بتأجيرها لَمن يستطيع دفع ثمنها؛ قالت لي بحسرة: "ليس لي أحد؛ كيف أدفع له؛ وأين أذهب؟ ليتني أموت وأسكن قبرًا لا يطالبني أحد فيه بإيجار".

لم أستطع أمام كلماتها ودموعها أن أقول شيئًا؛ وماذا عساي أن أقول.

ما أرحم القبور على الموتى؛ تأويهم بلا جدال وتضمهم بلا مقابل... ألا توافقني الرأي في أن مقابر الموتى أكثر كرمًا من بيوت الأحياء؟

تحياتي وسلامي.

فراق

أوافقك الرأي يا فراق؛ أوافقك جدًا.

انفكت عقدة الاختناق المروري وانطلقت بالسيارة؛ اشتريت في طريقي وجبة طعام من أحد المطاعم وعدت للبيت؛ تناولتها على عجل وجلست أُكمل قراءتي في الدفتر منذ أن توقفت ليلة الأمس بسبب النوم.

لم تكن أوراق مجلس المدينة التي قرأتها إلا عناوين الأخبار لما كان يحدث على أرض الواقع في المخيم؛ هذا الذي صَورَه مصباح٧ في دفتره وبطريقة أدبية جعلتني أشك أنه ربما كان كاتبًا مشهورًا قبل أن تصيبه اللعنة، توثيق حقيقي، صادق ومن قلب الحَدَث النابض لكل ما حدث.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حياة المخيم بكل ما فيها لمدة عام بأكمله يضعها مصباح٧ أمانة بين يديّ؛ ماذا تريدني أيها المصباح أن أفعل بها؟

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١٦

استبدت بي الحيرة وأنا لا أدري ماذا أفعل بكل هذا الذي بين يديّ؛ فقررت أن أذهب إلى "ست إحسان" أسألها النصيحة؛ فهي التي رأت كل شيء عن قرب؛ جلَسَت بجوار مصباح٧، تعرف ملامحه، صوته، والطريقة التي يتحدث بها؛ هي الوحيدة التي تعرف سري وسر هذا الدفتر.

ذهبت لبيت "ست إحسان" وأخذت معي علبة "شيكولاتة" فاخرة تليق بهذه السيدة الأمينة... فتحت لي الباب هذه المرة شابة في العشرينات من عمرها ترتدي ملابس سوداء؛ سألتها عن "الست إحسان" فقالت لي:

- ماما ماتت... مَن أنت؟

صعقتني كلماتها فصرخت في وجهها محتدًا:

- ماذا تقولين؟ لقد كنت هنا وتحدثت معها من حوالي أسبوع فقط.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

دمعت عيناها وأخبرتني بأنها ماتت الأسبوع الماضي؛ حسبت اليوم الذي أخبرتني أنها ماتت فيه فوجدت أنه اليوم التالي للقائي بها... أهكذا يا "ست إحسان" كنتِ تنتظرين أن تؤدي لي الأمانة ثم تموتين

تمالكت نفسي وقلت لابنتها:

- البقاء لله... اعذريني لأني صرخت في وجهكِ... الخبر كان صدمة بالنسبة لي ولم أكن أتوقعه على الإطلاق.

- لم يكن أحد منا يتوقع هذا... كانت بصحة جيدة وروح سعيدة.

- كيف ماتت؟

- صلت الفجر وماتت على سجادة الصلاة... وجدناها في الصباح في حجرتها على سجادة الصلاة بلا حركة.

- الله يرحمها ويحسن ختامنا مثلها... كانت سيدة أمينة.

لم يكن لعلبة الشيكولاتة التي معي أي فائدة الآن فاستدرت بها لأغادر فنادت عليّ ابنتها تسألني:

- لم تخبرني مَن أنت؟ ومنذ متى كانت ماما الله يرحمها تعرفك؟

التفتُ إليها قائلًا:

- لقد حملتني وأنا طفل صغير وصدقتني وأنا شاب كبير... ألف رحمة ونور عليها.

تركتها وذهبت مسرعًا دون كلمة أخرى.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

عدتُ للبيت وفتحت النافذة على مصراعيها وارتميت فوق السرير؛ أفكر فيما يحدث لي... لماذا يا دنيا تفتحين لي بابًا ثم تُغلقين آخر؟ نظرت للسماء التي كانت تلوح لي من النافذة زرقاء بلا شائبة وصرخت بأعلى صوتي "ساعدني يا رب"... ثم أغمضت عينيّ وغصـــت في نوم عميق.

جاءتني في الحلم "ست إحسان"، ترتدي ملابس بيضاء ويشع من وجهها نور لم أرَ مثله من قبل... اقتربت مني وهي تقول لي:

- مصباح٧ سعيد أني أعطيتك الدفتر.

- أين هو؟ أريد أن أراه.

أشارت بيدها للخلف فتحركت ستارة من ضوء وظهر خلفها شخص بعيد لم أكن أتبين ملامحه، ثم أخذ يقترب ويقترب إلى أن أصبح على بعد عدة أمتار مني فتوقف فرأيت ملامحه بوضوح؛ إنه مصباح٧ الذي رأيته في الصور التي تركها لي بداخل الدفتر؛ إنه هو وقد ازداد وجهه نورًا وجمال... ناديته وأنا أقول:

- ماذا تريدني أن أفعل بالدفتر؟

- ابحث عني تجد نفسك.

- أين وكيف؟

- المدرسة يا تاج... المدرسة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ثم بدأ يبتعد كما اقترب إلى أن تلاشت ملامحه من أمامي وعادت ستارة الضوء لتقف حائلًا بيني وبينه، ثم استيقظت من النوم وأنا غارق في العرق وأقول: "المدرسة... المدرسة".

بعد أن التقطت أنفاسي من هذا الحلم الغريب وشربت كوبًا كبيرًا من الماء، بدأت أسأل نفسي: "أي مدرسة؟".

لا بد أن القرية التي احترقت كان بها مدرسة وربما أكثر من مدرسة، ولا بد أن المكان الذي يريدني مصباح٧ أن أبحث فيه هو مدرسة بالقرية؛ لكن أبحث عن ماذا في مدرسة محترقة؟

ذهبت إلى مجلس المدينة أسألهم عن عدد المدارس التي كانت في تلك القرية وعرفت أنها كانت قرية صغيرة ولم يكن يوجد بها غير مدرسة واحدة فقط تضم المرحلتين الابتدائية والإعدادية؛ أراحني هذا الاكتشاف لأنه سَهَّل علي عملية البحث.

عدت للقرية المحترقة؛ هذه المرة وأنا أعرف عما أبحث ولستُ في حالة ضَياع كالمرة الأولى التي ذهبت فيها... أخذت أمشي بين شوارعها أبحث عن مبنى كبير من طابق واحد؛ رائحة الحريق ما زالت تسكن الشوارع والبيوت؛ تطل من النوافذ وتملأ فتحات الأبواب.

وجدت المدرسة بعد بحث استمر ما يقرب من ساعة؛ كانت محددة بسور خارجي؛ دخلت من الباب ووقفت فيما اعتبرته فناء المدرسة؛ هنا كان يقف الأطفال في طابور الصباح... كانت المدرسة مكونة من ثلاث عشرة حجرة، ست حجرات في جانب وفي مقابلها ست حجرات في الجانب الآخر ثم حجرة منفردة ما بين الصفين...

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أخذت أضع تصوري لما كانت تحويه هذه الحجرات... ست حجرات لفصول المرحلة الابتدائية؛ وثلاث لفصول المرحلة الإعدادية ثم حجرة لناظر المدرسة وحجرتان للمدرسين... والحجرة الأخيرة المنفردة لعُمال المدرسة؛ إذا كان هناك أكثر من عامل.

بدأت أدخل تلك الحجرات فوجدت بالفعل صفًا بالكامل منها مليئًا بالمقاعد المحترقة والسبورة التي تتصدر كل منها؛ وعلى الجانب الآخر كانت ثلاث حجرات فقط هي التي بها مقاعد محترقة، ثم حجرتان بهما مناضد وكراسي محترقة وكتب ودفاتر معظمها محترق أو نصف محترق؛ أمسكت أحد الكتب وكان يظهر العنوان في الجزء الذي لم يحترق فيه؛ كتاب التاريخ للصف الأول الإعدادي... أي تاريخ تضم هذه المدرسة؛ إنه تاريخ من نار ونسيان.

الحجرة الأخيرة في ذلك الجانب كان بها منضدة كبيرة محترقة وكرسيان محترقان؛ يدل هذا على أنه ربما كان بالمدرسة عاملان؛ هناك أيضًا أدوات مطبخ محطمة، موقد متهالك وأكواب مهشمة وأدوات صنع الشاي والقهوة كلها يطليها اللون الأسود؛ حتى المعدن احترق هنا... إذًا لم تكن الحجرة المنفردة لعمَّال المدرسة كما توقعت؛ ربما هي لناظر المدرسة حتى يرى من موقعه المتميز بها كل مكان بالمدرسة ويرصد كل حركة.

لم أجد في الحجرات الاثنتي عشرة شيئًا مفيدًا؛ كلها لا تضم غير بقايا حريق أتى عليها... أصبح أملي في الحجرة الأخيرة؛ الحجرة الثالثة عشرة... لا بد وأن بها السر الذي يريدني مصباح٧ أن أجده هنا...

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تركت كل الحجرات وتوجهت لتلك الحجرة التي بدت أكبر من باقي الحجرات وأكثر هيبة بموقعها المتميز.

بـاب الحجرة الخشبي كـان محترقًا عن آخـره لكـن على الحائـط الجانبي بجوار الباب كانت هناك قطعة معدنية مستطيلة مثبتة جيدًا بالحائط قد طمسها اللون الأسود؛ أخرجت منديلًا من جيبي ومسحت السواد الذي يعلوها فظهر لي المكتوب عليها (ناظر المدرسة)؛ فكما توقعت بعد تفقدي لباقي الحجرات يجب أن تكون هذه هي حجرة الناظر؛ هل كنت أنت ناظر المدرسة يا مصباح٧؟

مع دخولي الحجرة بدأت دقات قلبي تتسارع فهنا قد يكمن سر أنا على وشك اكتشافه... حجرة متسعة؛ بها مكتب كبير قد تحطم بعد احتراقه وعدد من الكراسي السوداء المتفحمة؛ وبجانب إحدى الحوائط حُطام خزانة كبيرة... وعلى جانب آخر هيكل يشبه المكتبة تقف محترقة بكل ما فيها من كتب... اقتربت منها وبدأت أتفحصها جيدًا؛ قد يكون السر مختبئًا داخل هذه المكتبة؛ معظم الكتب محترقة تمامًا وقليل منها تركت النار بعض أجزائه دون أن تأكلها؛ تفحصت جيدًا تلك الكتب القليلة الشبه محترقة؛ بعضها كان باللغة العربية وبعضها باللغة الإنجليزية؛ استطعت أن أُميز إحدى الروايات العربية من بينها... لم يكن بتلك المكتبة أية أسرار أو أي شيء ملفت للنظر غير السواد.

جلت ببصري جيدًا في الحجرة لكني لم أجد شيئًا، لا شيء مفيد على الإطلاق وسط كل هذا الحطام... ثم فكرت أن مصباح٧ في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الحلم قال لي المدرسة ولم يقل حجرة الناظر؛ لماذا أنا أضع أملي كله في حجرة واحدة وأمامي باقي الحجرات قد يكون السر في أي منها؛ عاودت الدخول للحجرات الأخرى، الواحدة تلو الأخرى، أُقلب الحُطام وأبحث عن شيء لا أعرف ما هو إلى أن تعبت واتسخت ملابسي واسودت يدايّ وتملكني الحزن والاكتئاب فخرجت من تلك الحجرات ومن المدرسة ساخطًا على كل شيء شاعرًا بالعجز والوهن.

عدت للبيت؛ أخذت حمامًا نظفت فيه نفسي جيدًا وتمنيت لو أن الماء يتغلغل داخل روحي فيغسلها كما يفعل بالجسد... ثم جلست أبحث في دفتر مصباح٧ عن أي شيء قد كتبه عن المدرسة؛ لم أجد غير أنه من ضمن ما كان يعتقد أنه ربما كان مُدرسًا؛ وعندما اكتشف أنه يعرف اللغة الإنجليزية توقع أنه ربما كان فيما مضى مُدرسًا لهذه اللغة؛ أيضًا ذكر في دفتره أنه عاش أسبوعًا بأكمله في تخيل أنه كان ناظر المدرسة الوحيدة بالقرية... هذا كل ما ذكره عما يتعلق بالمدارس... وإن كنت في قرارة نفسي أتوقع أنه كان ناظر المدرسة؛ شعرت بشيء هزني عندما دخلت حجرة الناظر وما زلت أعتقد أن السر بداخلها؛ لكن أين؟

كان التعب قد نال مني كل مراده فسقطت في النوم دون حتى أن أتناول طعامًا؛ وجاءني مرة أخرى مصباح٧ في الحلم؛ هذه المرة جاءني بمفرده ولم تكن معه "ست إحسان"؛ كان يقف في المدرسة، تمامًا أمام حجرة الناظر، ينظر لي ويبتسم، ثم دخل الحجرة واستيقظت أنا من النوم وكان أذان الفجر يأتيني من النافذة المفتوحة المشرعة على عدة مآذن... قمت فتوضأت وصليت الفجر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وعزمت على أن أذهب مرة أخرى للمدرسة، وبالتحديد لحجرة الناظر، فالسر يجب أن يكون بها وعليّ أن أقوم بالبحث جيدًا مرة أخرى.

في المستشفى كان اليوم يحمل لي عمليتين جراحيتين: الزائدة الدودية لطفل وفتح خُرَّاج في القدم لبائع أحذية متجول... اهتممت أيضًا ببعض الأعمال الورقية والمتابعات؛ ووجدت خطابًا جديدًا من فراق وضعته في جيبي وقررت أن أقرأه في جو أكثر هدوءًا من خلية النحل هذه التي أعمل فيها... بعد أن أنهيت عملي خرجت مسرعًا فأكلت وجبة طعام سريعة في الطريق واشتريت بعض المشروبات ومصباحًا يعمل بالبطاريات؛ فقد يأتي الليل عليّ وأنا بالمدرسة؛ ثم توجهت إلى هناك عازمًا أمري على اكتشاف السر.

كان هدفي هذه المرة محدَدًا؛ حجرة الناظر؛ اتجهت إليها مباشرةً وبدأت بالمكتبة، أنزلت كل ما بها من كتب محترقة وحركتها من مكانها وبحثت خلفها؛ نظرت فيما بين الكتب وقرأت بعض سطور من الكتب النصف محترقة لكن لم يكن هناك شيء هام؛ اتجهت بعد ذلك للمكتب فأخرجت أدراجه ونقلت حطامه من مكانه للجانب الآخر من الحجرة وبحثت أسفله وفي كل ما عليه من أشياء فوجدت لوحة معدنية عليها اسم؛ مسحتها جيدًا حتى استطعت قراءة ذلك الاسم المكتوب عليها (الأستاذ/ كمال محروس)؛ لا بد أنه اسم الناظر؛ لكن هل الناظر هو مصباح٧؟ أي حيرة هذه... أخذت هذه اللوحة ووضعتها في حقيبتي؛ كان نصرًا على رغم صغره لكنه هام وأسعدني.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بقيّ لي في الحجرة الخزانة الكبيرة التي تحتل حائطًا بأكمله، يجب ألا أترك شيئًا في هذه الحجرة حتى أبحث فيه جيدًا... قررت أن آخذ استراحة قصيرة ثم أواصل العمل.

جلست على عتبة باب الحجرة وكانت الشمس تستعد للمغيب؛

أخرجت زجاجة ماء صغيرة من حقيبتي وشربتها كلها مرة واحدة ثم أخرجت خطاب فراق من جيبي وعلبة عصير من الحقيبة وبدأت أشرب وأقرأ:

٦- عزيزي تاج الأصدقاء

أولًا هذه الوردة الحمراء التي أرفقها بهذا الخطاب هي لك؛ ضعها وسط صفحات كتاب تحبه وستنمو يومًا وتصبح حديقة.

كما توقعت؛ أصبحت أنا ووجدان صديقتين؛ نذهب إلى كل المحاضرات معًا ونقضي الوقت بين المحاضرة والأخرى سويًا؛ وأقوم أنا بحل كل "الشيتات" وتنقلها هي مني... نذهب لشراء الكتب والأدوات الدراسية معًا ونقوم بتصوير كل الأوراق المطلوبة منا؛ تدفع هي ثمن كل هذا من النقود التي أعطاها لها والدها وأدفع أنا من نقودك.

اليوم ونحن ننتظر دكتور محاضرة الرسم الهندسي دخلت المدرَّج بنت لم نكن قد رأيناها من قبل؛ بدت تائهة وهي تنظر بعينيها هنا وهناك؛ اقتربت منا وجلست بجوارنا... حيتنا بكلمات قليلة وقالت أن اسمها "هايدي"

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وأنها كانت في سفر خارج البلاد واليوم هو أول يوم لها في الكلية؛ كانت تطلب بعينيها أن نساعدها؛ فهي لا تعرف شيئًا بعد؛ وبالطبع رحبنا أنا ووجدان بمساعدتها... أعطيناها جدول المحاضرات وكتبنا لها قائمة بالكتب والأدوات التي يجب أن تشتريها، وأعطيتها بعضًا من دفاتري كي تقوم بتصوير المحاضرات التي لم تحضرها إلى أن أُحضر لها باقي الدفاتر؛ وأخبرتها وجدان بتعليمات حضور محاضرات الميكانيكا حتى لا تتعرض للتوبيخ من دكتور الميكانيكا... كانت هايدي رقيقة مثل اسمها لكن بها مسحة من حزن لا تُخطئها العين.

في المرحلة الثانوية كانت لي صديقتان؛ وكنت أرى أن الأصدقاء يجب ألا يقلوا في المجموعة الواحدة عن ثلاثة؛ حتى تكتمل أضلاع مثلث الصداقة... صديقتاي من المرحلة الثانوية لم أعد على اتصال بهما؛ تزوجت إحداهما وسافرت بعيدًا وانقطعت أخبار الأخرى عني ولم أعد أعرف شيئًا عنها... كانتا تعيشان في مناطق بعيدة عني، بالقرب من المدرسة التي كنت أرتادها وبعيدًا عن المقابر.

اعتدت في كل مراحل تعليمي أن أذهب للمدرسة مشيًا على الأقدام؛ أمشي ساعة كاملة في اليوم؛ نصف ساعة في الذهاب للمدرسة ونصف ساعة في العودة... لا أعرف كم ميلًا مشيت في كل تلك الأعوام؛ لكني مشيت كثيرًا، كثيرًا جدًا، أكثر مما يجب.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أصبحت أنا ووجدان مرشدتين لهايدي في الكلية؛ والتصقت هي بنا تتبعنا في كل مكان نذهب إليه، وتأخذ بكل تعليماتنا ونصائحنا؛ وبحضور هايدي أعتقد أن مثلث صداقتنا قد اكتمل... هل تعتقد هذا؟

نسيت أن أخبرك أنني في بعض الأيام أشعر بأني شريرة؛ فعلى سبيل المثال استيقظت اليوم وأنا أنوي صنع قنبلة موقوتة من أجود أنواع الكلمات المتفجرة... وسأرسلها لك على بريدك الإلكتروني... وبمجرد أن تفتحها ستنفجر في وجهك عاصفة من الآلام... ستخترق قلبك مسامير غضبي؛ وتشج رأسك كلماتي الصارخة... وتندلع في بريدك الإلكتروني نار تحرق كل رسائلك... سيسقط من يدك كوب الشاي، ويتهشم زجاج النافذة.

هل لديك بريد إلكتروني؟

مع خالص ودي.

فراق

يكفيني يا فراق كل النيران التي اندلعت في حياتي، وتلك الموصوم بها... لا أريد المزيد.

أنهيت الخطاب وعدت للحجرة ووقفت أمام الخزانة وأنا في حالة حيرة؛ فمن أي جزء منها يمكنني أن أبدأ... كانت الشمس تسحب آخر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

خيوطها من الأرض وبدأ المكان يصبح أكثر ظلمة فأنرت المصباح الذي أحضرته معي ووضعته على مقربة من الخزانة ثم بدأت أبحث في كل مكان بها؛ بعض أبوابها كانت متهالكة فانفتحت بمجرد أن جذبتها قليلًا وبعضها كانت النار لم تأكله جيدًا فاحتجت لمجهود أكبر لفتحه؛ وجدت العديد من الأدوات التي تُستخدم في المدارس مثل الطباشير واللوحات المحترقة وأقلام رصاص متفحمة وأقلام حبر من مختلف الألوان ذابت أحبارها واختلطت ببعضها البعض، وأقلام ألوان خشب نصف محترقة ودباسة ومفاتيح... التقطت المفاتيح ونظرت إليها؛ ترى ماذا تفتح؟ وضعتها جانبًا وواصلت تفقد باقي الأشياء.

وأنا أخلع أحد أبواب الخزانة المحترقة وجدت بداخله بابًا آخر لم تطله النار واكتفت بحرق الباب الأول؛ لكن لماذا يوجد هنا باب بداخله باب؟ الباب الثاني كان مُغلقًا بإحكام فلم أستطع فتحه؛ حاولت بقوة إلى أن تعبت ثم تذكرت المفاتيح؛ ربما أحدها قد يفتحه... التقطتها وأخذت أجرب الواحد تلو الآخر إلى أن فتح الباب أحدها... بمجرد أن فتحته بدأت دقات قلبي تتسارع وشعرت أني على بعد دقائق من معرفة سر كبير؛ أحضرت المصباح واقتربت به أكثر كي أرى ما يوجد خلف هذا الباب الذي فتحته.

كان هناك العديد من المستندات والدفاتر؛ فتحت دفترًا منها فإذا بخط مصباح٧ أمامي؛ قفزت السعادة في قلبي... وفي أحد المستندات

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كانت هناك صور وأسماء؛ نَمَت السعادة ووصلت حتى شفتي فظلتا مبتسمتين... قررت أن آخذ كل هذا الذي وجدته وأفحصه بدقة في البيت، لن أترك منه ورقة واحدة؛ ملأت حقيبة الظهر التي كانت معي وعلقتها على ظهري وأمسكت الباقي بيدي اليمنى، وباليد اليسرى حملت المصباح وخرجت من الحجرة ومن المدرسة.

ها أنا ذا قد أحدثت بمشرطي جرحًا طوليًا في بطن الماضي؛ فماذا بعد؟

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١٧

ما وجدته في حجرة ناظر المدرسة لم يكن إلا وجبة دسمة من تاريخ هذه المدرسة وماضيها... هذا الرجل كان يقوم بتوثيق كل شيء يحدث بالمدرسة بالصور والكلمات؛ بفضل إدارته كانت مدرسة نموذجية نفتقد لمثلها في أيامنا هذه... في البداية لم أكن متأكدًا من أن مصباح٧ هو ناظر المدرسة، هو "كمال محروس" الذي وجدت اسمه على مكتب الناظر؛ لكني في الصورة الخامسة التي كنت أتفحصها من ملف الصور تأكدت من أنه هو؛ كانت صورة تجمعه بعدد من الطلاب في رحلة مدرسية؛ وكان من عادته أن يكتب أسفل كل صورة أسماء الذين يظهرون بها وعلى خلفية الصورة يكتب تاريخ ومناسبة الصورة؛ إنه هو بنفس هيئته وشكله كما في صورتيه اللتين كانتا في الدفتر، لكنه هنا يرتدي بدلة رمادية اللون ويبتسم ابتسامة عريضة.

إنه أكثر من ملف غني بالصور والأحداث؛ شهادات تقدير وشهادات تفوق؛ مراسلات هامة مع مديرية التربية والتعليم؛ صور حفلات زفاف بعض المدرسين؛ حفلات وأنشطة تقيمها المدرسة وتدعو لها شخصيات من القرية؛ في الصور رأيت طبيب القرية

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

والعمدة ومدرسي المدرسة وطلابها وآباء وأمهات العديد من الطلاب... معظم الصور كانت تبدو أنها مأخوذة بتلك الكاميرا القديمة التي كانت تُخرج صورًا فورية.

وجدت أيضًا ملفًا يحوي أوراق جرائد بها أخبار عن التعليم وأخرى عن أحداث حدثت بالقرية؛ على هامش بعضها كتب مصباح٧ تعليقاته عليها؛ معظم تلك التعليقات تتحدث عن زراعة البانجو فوق أسطح البيوت؛ وأخرى عن عصابة لتجارة المخدرات من أهل القرية يتم البحث عن كل عناصرها... وكانت تعليقات مصباح٧ تقول إن الفساد ينتشر كالسرطان في جسد القرية وإن أهلها لا بد وأن يحترقوا يومًا بمعاصيهم... توقفت كثيرًا عند تعليقه هذا؛ ربما هو ما حدث بالفعل؛ ربما حلت اللعنة بسبب هذا الفساد فاحترقت القرية وأخذت معها كل العُصاة بل وأصابت كل مَن كان هناك؛ وكل مَن له صلة بهم، فوهج النار يحرق أيضًا... لكن بماذا يفيد الآن معرفة هذا السر وقد ذهبوا جميعًا؟

ها أنا ذا قد وجدتك يا مصباح٧ وعرفت سر اللعنة؛ لكن كيف لي الآن أن أجد نفسي؟ قال لي في دفتره "ابحث عني تجد نفسك"؛ هل ممكن أن يكون مصباح٧ هو والدي؟ وإن لم يكن، فهل يُوجد في هذه الصور أبي وأمي وإخوتي؟ وكيف يمكنني أن أعرفهم؟ أي حيرة هذه التي يضعني فيها مصباح٧؟ ليته يأتيني في حلم جديد، يعطيني أي مفتاح كي أعرف به نفسي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ظللت أيامًا طويلة أستجدي ظهور مصباح٧ في أحلامي دون فائدة؛ تركني وحدي مع الحيرة تنهشني وأنا لا أعرف كيف أخطو خطوتي القادمة.

وفي خضم حيرتي جاءتني كلمات فراق لتخفف عني بعض الحيرة:

٧- عزيزي تاج الذكريات

سألتني وجدان وهايدي اليوم عن المنطقة التي أسكن فيها؛ بعد أن قالت كل منهما عنوان منزلها؛ عناوينهما مشرفة لأي شخص... أما أنا فلم أستطع بالطبع أن أخبرهما بأني أسكن في المقابر؛ سأُصبح فألًا سيئًا لهما وشخصًا دون المستوى يجب الابتعاد عنه، سأخسر صديقتيّ الوحيدتين إذا قلت؛ لذلك فقد كذبت عليهما وقلت لهما وأنا أتحاشى النظر لأي منهما بأني أسكن في العشوائيات... صمتتا ولم تقولا شيئًا؛ وبدت الحيرة عليهما فغيرت وجدان الموضوع وسألتني عن حل بعض مسائل الميكانيكا... أعتقد أن العشوائيات أفضل من المقابر؛ هل تعتقد ذلك؟

وكأنه كان يوم تبادل المعلومات الشخصية؛ ففي أثناء انتظارنا محاضرة الرياضيات تحدثت وجدان كثيرًا عن أبيها المهندس المعماري والمكتب الهندسي الذي يمتلكه، ثم تحدثت هايدي عن أبيها الصيدلي والشركة الخاصة التي يعمل فيها؛ ثم سألاني عن وظيفة أبي؛ بالطبع احتلت على إجابة هذا السؤال، فلا يمكنني أن أخبرهما أن أبي كان حفارًا للقبور...

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

نظرت للسبورة أمامي وقلت لهما إن أبي يعمل ميت ولم أضف شيئًا آخر ولم تعقب على كلامي أي منهما.

عندما عدت لحجرتي بالمقابر أخرجت أوراق وصور الماضي؛ صـــورتي الوحيدة مع أبي؛ كنت وقتها قد نجحت في الشهادة الإعدادية وكنت الأولى على المدرسة كلها؛ في ذلك اليوم الذي ظهرت فيه النتيجة والذي لن أنساه أبدًا أخذني أبي للمدينة في نزهة مكافئة لي على تفوقي؛ مشينا في الشوارع وأكلنا ذرة مشوية ثم أخذني لمطعم معظم كراسيه ومناضده على الرصيف؛ طلب لي يومها "مكرونة باللحمة المفرومة" وطلب لنفسه "كُشري".. قال لي أنه يحبه وأنا كنت أعرف لأنه أقل سعرًا؛ كانت أحلى "مكرونه باللحمة المفرومة" أكلتها في حياتي؛ أخذ يتحدث معي ونحن نأكل وسألني عن أحلامي عندما أكبر وكانت المرة الأولى التي أقول فيها لأحد أنني أحلم بأن أدخل كلية الهندسة وأصبح مهندسة ترسم للناس مع بيوتهم أحلامهم بداخلها... كنت ألاحظ أن أبي يبتلع الطعام بصعوبة وقد لمعت دمعة في عينيه وهو يسمع أحلام ابنته التي لن يستطيع تحقيقها لها.

بعد الطعام أخذني لاستوديو تصوير والتقط لنا المصور هذه الصورة الوحيدة لي معه والتي يتجسد فيها المعنى الخالص للفرح... وضعت الصورة أمامي وأخذت أبكي وأقول لها: "سامحني يا أبي أني خجلت من ذكر مهنتك لزميلاتي في الكلية؛ أنا لا أشعر بالعار منك أو من عملك لكني خشيت أن ينظروا لك نظرة غير لائقة؛ أو أن يجرحوا مكانتك بداخلي ولو بالصمت".

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

للماضي ملمس لا يمكن أن تُخطئه الروح، ناعم في قلب الحدث، حاد عند الحواف، خشن في لحظات الانكسار وأملس وقت الفرح.

كان الماضي مُقيدًا أمامي في صورة صماء وطيف أبي مصلوبًا على باب قلبي وأحذيتي ممدة بعرض الحائط.

في ظرف الخطاب الذي أضع فيه الصور أخذت أتفقد باقي الصور؛ كانت قليلة وكلها للتقديم في المدرسة الابتدائية، الإعدادية، والثانوية... كنت أنظر باستغراب لأقدم صورة لي، صورتي وأنا صغيرة في الصف الأول الابتدائي؛ هذه الصورة لا تُشبهني؛ وكأنها لغيري؛ كل ما فيها لا ينتمي إليّ... هل تعتقد أن صورنا في مرحلة ما من عمرنا قد لا تشبهنا؟

تحياتي وسلامي

فراق

حديث فراق عن الصور جعلني أبحث عن صوري القديمة وأجلس أتفقدها كلها؛ صور عديدة وفي مراحل عمر مختلفة؛ مع أمي رجاء؛ وأبي مراد؛ عمتي وأسرتها وجدتي والعائلة والجيران وزملاء المدرسة... نعم هناك صور تبدو أنها لا تشبهنا في شيء.

أصبحت أميل إلى فكرة أن مصباح٧ هو والدي وأتمنى أن تكون هذه هي الحقيقة؛ لكن من ناحية الشَبَه لا يوجد شَبَه بيني وبينه؛ هو قمحي اللون وأنا أبيض؛ عيناه سوداوان وعينايّ بلون العسل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

القاتم؛ شعره أسود وشعري يميل للاصفرار... وأنا أعقد المقارنة الشكلية معه تذكرت شعره؛ تلك الخصلات التي وضعها في دفتره قبل أن يموت؛ هل من الممكن باستخدام هذه الخصلات أن أعرف من خلال الحمض النووي البصمة الوراثية الخاصة به وأقارنها ببصمتي أنا الوراثية وبهذا سأتأكد إذا كان هو والدي أم لا؟

لمعت الفكرة في رأسي كنجم في سماء مظلمة... وبسرعة أخرجت شعر مصباح٧ من صندوق الأحبة؛ أخذت أتأمله جيدًا؛ فهذا الشعر قد يكون دليلي لمعرفة نفسي... وعلى الفور قمت بالاتصال برضا الذي كان يُعد بحثًا في هذا الموضوع ويمكنه أن يخبرني عن إمكانية هذا من عدمه؛ كان نائمًا واستيقظ وهو يتثاءب ويقول:

- لماذا هذا الاتصال المتأخر؛ هل نقلوا كلية الطب من مكانها؟

- أريد أن أسألك عن شيء مهم بخصوص الحمض النووي والبصمة الوراثية.

- وما دخل هذا بالجراحة؟ على العموم اسأل يا تاج.

- هل يمكن من شعر الإنسان معرفة حمضه النووي؟

- ممكن طبعًا.

- حتى ولو كان هذا الشعر قديمًا؟

- منذ متى؟ عدة أشهر مثلًا؟

- العديد من السنين؛ حوالي سبع وعشرين سنة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- يااااه... هل تريد معرفة الحمض النووي لأجدادك؟

- أرجوك أجبني يا رضا.

- لا أعتقد يا تاج... وأيضًا هناك شرط آخر هام، وهو أن يكون هذا الشعر يحتوي على جذوره؛ أي أن تكون بصيلات الشعر موجودة به.

نظرت لشعر مصباح٧ الذي في يدي وشعرت أني أبحث عن المستحيل؛ فقلت لرضا:

- أشكرك يا رضا... يمكنك أن تذهب لتُكمل نومك.

- هل أفادتك إجابتي في شيء؟

- نعم بالتأكيد أنت دائمًا تفيدني... تصبح على خير يا رضا.

- وأنت من أهله يا صاحبي.

شَعْر مصباح٧ الذي كان في دفتره لم يكن منزوعًا من جذوره، ليس به أي بصيلات للشَعْر، كان قد تم قصه بمقص... أعدت الشعر لمكانه في صندوق الأحبة وقررت أن أتوقف عدة أيام عن التفكير في كل هذا ثم أعود بعد ذلك بذهن صافٍ لنقطة الصفر.

الأيام استمرت لأسابيع انغمست خلالها في العمل، وكنت أعود للمنزل فقط لكي أنام ثم أستيقظ لأبدأ دوامة العمل التي لا تنتهي؛ تلقيت خلال هذه الأسابيع خطابين من فراق؛ كانت تلك الخطابات هي فترات الراحة التي أقضيها وسط أيامي المتُعَبَة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

٨- عزيزي تاج الحياة

أكتب لك الآن من منتصف محاضرة مادة الهندسة الوصفية؛ شعرت برغبة شديدة في إخبارك بالكنز الذي عثرت عليه اليوم، حتى لو من خلال كلمات ستقرأها بعد عدة أيام، لكني لم أستطع صبرًا حتى أعود للمنزل وأكتب إليك.

اكتشفت اليوم كنزًا في الكلية... إنها المكتبة، والكنز تحديدًا يوجد داخل المكتبة؛ في الكلية مكتبة ضخمة بها كتب علمية لا حصر لها وهذا شيء عادي في كلية مثل كلية الهندسة؛ لكن غير العادي هو ما وجدته وأنا أمر بين أرفف الكتب الكثيرة، فقد لاحظت وجود حامل للكتب في أحد الجوانب؛ اقتربت منه ويا لفرحتي؛ كان هذا الحامل مملوءًا بالقصص والروايات؛ لكُتّاب من كل مكان؛ داخل وخارج الوطن، وكتب عالمية مترجَمَة؛ كمية من كتب الأدب كلها مُتاحة كي أقرأ منها ما يحلو لي؛ حتى في أجازة آخر العام تظل المكتبة مفتوحة ويمكنني أن أحضر فأستعير منها ما أشاء... هل تشعر بحجم السعادة التي أنا فيها؟

تعرف أن أستاذ محمد لا يسمح لأحد بقراءة الكتب التي يبيعها في المكتبة؛ فحقوق النظرة الأولى لهذه الكتب لَمن يشتريها؛ أتذكر الآن أنني تقريبًا لم أكن قارئة أولى لأي كتاب من قبل؛ كل الكتب التي كنت أقرأها كنت أستعيرها من المكتبات؛ كتب مرت عليها أعين كثيرة من قبلي؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

التهمتها وتلذذت بها قبل أن تصل لعينيّ... أحيانًا وأنا في المكتبة كانت تراودني نفسي كي أقرأ بعض تلك الكتب الجديدة المعروضة للبيع أو حتى بضع صفحات منها في أثناء غياب أستاذ محمد، وبذلك لن يشعر بشيء، وبالتأكيد مَن سيشتري الكتاب لن يشعر بأن عينيّ قد قرأت الكتاب قبله؛ لكني كنت أتراجع على الفور؛ كان ينتابني شعور بأني لص على وشك أن يسرق بضع كلمات بعينيه.

مررت بعينيّ ويديّ على الأرفف التي بها الكتر الذي عثرت عليه؛ ووقعت في حيرة، ماذا أختار من كل هذه الأطعمة الدسمة التي فتحت شهيتي على القراءة؛ وأخيرًا مددت يدي وأخذت رواية (صخب البحيرة).

أتفهم جيدًا أن الاتفاق بيننا هو أن أكتب أنا إليك، سدادًا لديوني؛ لكن أحيانًا أفكر لماذا لا ترد على أي من خطاباتي هذه؛ على الأقل حتى أعرف إذا كانت تروق لك أم لا؛ تسعدك أم تغضبك... ترى ماذا تفعل بها بعد أن تقرأها؛ تُلقي بها في أحد الأدراج أم تمزقها؟

تحياتي ومحبتي

فراق

لا هذا ولا ذاك يا فراق... أنا أحتفظ بها في صندوق منفصل؛ صندوق ثالث خصصته لخطاباتكِ؛ فقد أصبحت أجمل ما في أيامي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

٩- عزيزي تاج الأسرة

حضرت اليوم أختي الوسطى؛ رقم ثلاثة في أخواتي البنات؛ اسمها صابرين، جاءت هي وزوجها وأولادها الخمسة؛ تزوجت صابرين من حوالي ست سنوات وها هي تجر ورائها خمسة أطفال؛ لا أدري لماذا هذا التفكير في مجرد الإنجاب؛ ما الاستفادة من كل هؤلاء الأطفال، يتعبون أنفسهم ويتعبونهم؛ ألا يكفي طفل أو اثنان أو على الأكثر ثلاثة؟ ماذا يفعلون بهم ولهم؟

كانت وأبناؤها في زيارة لأهل زوجها فقررت زيارة البيت الذي وُلدت فيه والمقابر التي تربت فيها؛ لم يأتِ أحد من أخواتي منذ وفاة أبي؛ وكأنهن نسينني تمامًا؛ قطعن صلتهن بكل هذا الماضي البائس؛ لديهن عذرهن وأنا لست غاضبة منهن.

لم يكن معي نقودًا كافية لأعد لهم وجبة طعام جيدة؛ فأخذت من نقود التعليم (نقودك)؛ وسأردها من أجري الشهر المقبل من عملي بالمكتبة.

كدتُ لا أعرف صابرين عندما فتحت لهم الباب؛ تغيرت كثيرًا؛ انزوى جمالها وانطفأت لمعة عينيها؛ فخمسة أطفال في ست سنوات شيء ليس بالسهل على أي جسد كي يتحمله؛ حتى روحها كنت أشعر بها متعبة متهالكة... أشفقت عليها وعلى الحال الذي أصبحت فيه؛ لماذا يفعل الناس هكذا في أنفسهم؛ ألا يوجد لديهم القليل من العقل؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قررت في هذه اللحظة وأمام هذه المعاناة التي أراها متجسدة أمامي أنني عندما أتزوج لن أُنجب أطفالًا بكثرة هكذا، وليكن شرطي الأهم الذي أضعه أمام مَن سيصبح زوجي.

مع نهاية اليوم استعدوا للذهاب، نظرت إليهم جيدًا وحاولت أن أحتفظ بشكل الأطفال في رأسي فربما لن أراهم لأعوام طويلة قادمة وربما لن أراهم مرة أخرى... ودعتني صابرين وهي تهمس في أذني: (اهربي من هنا يا فراق إذا استطعتِ... الحياة في المقابر موت).

نصيحتها هذه أيقظت خططي كلها؛ فبجوار خطتي لكي أصبح مهندسة أضع خطة أخرى على قدر كبير من الأهمية وهي أن أجد أي مكان يصلح للسكن بعيدًا عن المقابر؛ إنها خطتي الخمسية القادمة التي ستتحقق بمجرد أن أُصبح مهندسة وأجد عملًا محترمًا وأجرًا يوفر لي سكنًا بعيدًا عن هنا.

بعد أن غادروا قمت بإعادة النظام للحجرة التي قلب كيانها الأطفال؛ استغرق هذا مني حوالي ساعتين من العمل حتى أعدت كل شيء لمكانه ونظفت كل ما اتسخ؛ وبعد أن انتهيت من مهام التنظيف شعرت باشتياق للقراءة؛ فأنا منذ بدء العام الدراسي لم أقرأ الكثير من الكتب؛ اهتمامي كان بالكتب الدراسية؛ لذلك أحضرت كتاب (رجال في الشمس) الذي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

استعرته مؤخرًا من مكتبة الكلية وبدأت أقرأ... هل قرأت هذا الكتاب من قبل؟

تحياتي ومودتي

فراق

بعد عمل متواصل لما يقرب من شهر أخذت أجازة أسبوع بأكمله؛ وقررت أن أستغل هذه الأيام في محاولة أخيرة لخياطة جرح الماضي الذي ما زال مفتوحًا.

عدت لملف الصور أنظر فيها دون هدف ودون أن أعرف عن أي شيء بالتحديد أبحث؛ كدت أحفظ أشكالهم من كثرة ما مررت عليهم بعينيّ... وأنا أتجول بين الصور لفت انتباهي صورة لبعض المدرسين والطلاب يقومون فيها بتعليق بعض اللوحات على جدار خارجي لأحد الفصول؛ الذي لفت انتباهي في هذه الصورة أحد المدرسين الذي كان يرفع يديه عاليًا لتثبيت اللوحة وقد ارتدى "فانلة بحملات" تُظهر كتفيه؛ كتفه الأيسر الذي بدا فيه واضحًا "وحمة" بحجم بلحة تُشبه قطعة كبد بنية اللون.

كنت قد رأيت هذه الصورة من قبل لكن لم أنتبه لهذه التفصيلة الصغيرة... وبمجرد أن انتبهت لما في هذه الصورة ألقيت بالملف وأمسكت جيدًا بالصورة وأخذت أُحملق فيها؛ هذا بالتأكيد هو أبي؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إنها نفس "الوحمة" التي لديّ؛ في نفس المكان وبنفس الحجم واللون... إنها البصمة الوراثية التي أبحث عنها.

لم يكن وجه هذا الرجل يظهر في الصورة لكن اسمه كان هناك أسفلها، الأستاذ: "لطفي إبراهيم"، مدرس الرياضيات... لا بد أني ابن الأستاذ لطفي إبراهيم مدرس الرياضيات... جمعت كل الصور التي وثقت تعليق اللوحات إلى أن وجدت صورة يظهر فيها وجه الأستاذ لطفي إبراهيم؛ أبي، لا شك عندي أنه أبي... كان يلتفت وراءه ويمد يده اليمنى لأحد الطلاب ليعطيه لوحة جديدة؛ كان وجهه واضحًا أمامي وتُظهر الصورة أيضًا كتفه الأيسر بالعلامة التي به؛ تركت كل الصور وجلست أحملق في هذه الصورة؛ إنه أبي؛ بشكل ما أنا أشبهه؛ ليس في لون العينين ولا لون البشرة لكن في حجم الأنف وهيئته؛ في رقة الشفتين ولون الشعر وطبيعته؛ على خلفية الصورة كتب مصباح٧ "تعليق اللوحات الجديدة استعدادًا لزيارة وزير التربية والتعليم".

من شدة انفعالي بهذا الاكتشاف الذي لم أكن أتوقعه بعد أن تعبت من النظر للصور بلا أمل؛ قمت من مكاني ممسكًا بالصورة وأنا أحتضنها وأخذت أرقص وأُغني في طول الحجرة وعرضها.

ثم أحضرت ورقة وقلمًا وكتبت اسمي الحقيقي لأول مرة في حياتي "تاج لطفي إبراهيم".

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١٨

واصلت بحثي في الصور؛ قد أجد أمي بها وإخوتي إن كان لي إخوة وأخوات؛ ربما كانت أمي مُدرسة بالمدرسة وأحد إخوتي من بين الطلاب... مررت على صور وأسماء كل المُدرسات لكن كيف لي أن أعرفها؟ واصلت النظر إليهن لكني لم أشعر تجاه أي منهن بعاطفة الأمومة؛ الطلاب أيضًا لم تكن تعني وجوههم لي شيئًا.

قررت أن أكتفي حاليًا بهذا الاكتشاف الهام في معرفة أبي؛ وأعاود البحث في الصور مرة أخرى بعد عدة أيام.

شعرت باشتياق لخطاب من فراق؛ فذهبت للمستشفى رغم أني في أجازة من العمل وتفقدت مكتبي ووجدت بالفعل خطابًا منها في انتظاري؛ أخذته وانطلقت بسيارتي مبتعدًا عن المدينة وعن الناس والزحام؛ ظللت أقود إلى أن وصلت إلى أطراف المدينة وبداية الصحراء؛ كان الوقت عصرًا والهواء منعشًا وله رائحة اللون الأخضر رغم أنه يسكن صحراء صفراء؛ والسماء تزينها سُحب بيضاء

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ناصعة... خرجت من السيارة وجلست هناك فوق أحد الأحجار وأخرجت خطاب فراق من جيبي وبدأت أقرأ:

١٠- عزيزي تاج الحب

سأبدأ خطابي بسؤال: "هل وقعت في الحب يومًا؟"... ولا تدع تفكيرك يأخذك لبعيد فأنا لم أقع فيه بعد؛ لكنها صديقتنا الرقيقة هايدي؛ هايدي تحب جارهم شادي منذ كانت في الصف الثاني الثانوي؛ لكنه حب شائك؛ حب ممنوع؛ حب حرام، وهل يا ترى يوجد حب حرام؟

المشكلة أن هايدي مسلمة وشادي نصراني... أترى حجم المأساة التي هي فيها؟

المأساة مضاعفة لأن شادي هو أيضًا يحب هايدي ولا يتوقف عن البوح لها بهذا الحب الذي ينمو بداخله كما ينمو بداخلها... عقدة درامية من الدرجة الثالثة؛ لا تسألني ما هذا، لكني هكذا أرى أنه التوصيف المناسب لهذا الوضع المعقد الذي أراه أمامي.

حكت لنا هايدي تفاصيل هذا الحب الشائك وعرفنا أخيرًا سر الحزن البادي عليها... لم يكن لدى أي منا تعقيب على حالة هايدي؛ فأي كلام في هذا الموضوع مؤلم.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تُرى هل تعرف عملية جراحية يمكنها أن تُعالج هذه الحالة؟ إذا كنت تعرف فأخبرني بها.

أعتقد أن الحب في حالات كثيرة يكون مصدرًا من مصادر العـــذاب ولذا فقد قررت أن أصنع لقلبي تميمة ضد الحب، أُعلقها عليه فتحميني؛ فأنا لن أحتمل عذابًا من هذا النوع... أقول لك سرًا؛ كدتُ أن أقع في شِباك الحب ذات يوم لكني تراجعت على الفور رغم أن هذا الحب كلما تراءى لي حتى الآن أشعر بأني أقف أمامه منتصبة القامة؛ منحنية القلب.

عدتُ من الكلية لأجد جارتنا أم سعد تجلس أمام حجرتي؛ تمسك في يدها صورة لابنها سعد، تنظر إليها وهي تبكي وقد تبعثرت من حولها عدة أشياء؛ ملابسها؛ أدوات مطبخ؛ كرسي خشبي بثلاث أرجل و"حصيرة" بالية... قالت لي من بين دموعها إن صاحب الحجرة طردها منها بالقوة؛ أمسكها من يدها وألقى بها خارجها ثم ألقى لها بأشيائها القليلة التي كانت بداخلها وهي لا تعرف أين تذهب؛ لا يوجد حتى قبر مفتوح يمكن أن تنام بداخله... أخذت أُلملم تلك الأشياء من على الأرض وأدخلتها في حجرتي وطلبت منها أن تبقى معي كيفما تشاء... فأنا لا أهل يسألون عني وهي كل أهلي؛ احتضنتني وواصلت البكاء... لم تكن حزينة لأنها طُردت من الحجرة التي كانت تأويها بقدر ما كانت حزينة لأن سعد عندما يعود لن يجدها هناك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

خففت من حزنها وأخبرتها بأنه لا بد وسيسأل الحجرات المجاورة ويعرف أين هي، ثم أعددت لها سرير والدي الذي لم ينم عليه أحد منذ موته؛ وأعددت لها كوب ليمون؛ طلبت منها أن تشربه وتنام قليلًا...

ثم جلست أنا أذاكر فلديّ امتحان رسم هندسي في الغد.

أنا سعيدة بوجود أم سعد معي؛ حياة تؤنس وحدتي في هذه المقابر الموحشة... ترى هل أعتبرها أمي أم جدتي؟

تحياتي ومحبتي

فراق

أنهيت الخطاب وصعدت بعينيّ لسؤالها في بدايته؛ "هل وقعت في الحب يومًا؟"... ربما أنا واقع فيه الآن.

عدتُ بعد ذلك بذهن صافٍ وروح مرحة للمنزل وفتحت مرة أخرى ملف الصور؛ قررت أن أجمع من بينها كل الصور التي بها صورة أبي؛ ويا للمفاجأة التي كانت في انتظاري؛ كان هناك بعض الصور لحفل زفاف أبي؛ هو وعروسه؛ أمي؛ هي بالتأكيد أمي، بيضاء في نفس لون بشرتي ولها عينان عسليتان، نفس عينيّ؛ حتى ضحكتها في الصورة تشبه ضحكتي... نظرت للتاريخ أسفل الصورة وكان يُشير إلى قبل وقوع اللعنة بحوالي شهرين؛ إذًا أنا وحيدهما؛ ليس لي أخوة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أو أخوات؛ وماذا عن اسم أمي؟ تقول الصورة "منى فرحات"... أنا ابن منى فرحات؛ "إسورة" التي لا أعرف الرقم الذي يتبع اسمها... ووجدت الشرح الذي كنت أبحث عنه في خلفية إحدى صور حفلة الزفاف والذي كتبه مصباح٧:

"أخيرًا تزوج لطفي ومنى بعد قصة حب كنت شاهدًا عليها؛ لطفي أصغر مدرسي المدرسة وأعتبره كابني؛ ومنى بنت أختي وأصغر بناتها... أتمنى لهما حياة سعيدة وأشتاق لرؤية أولادهما".

لقد رأيتني يا مصباح٧ وأنت لا تعرف أني ابن لطفي ومنى... كم أنا سعيد لأنك قريب لي؛ فأنت خال أمي؛ أي أنك في منزلة جدي.

لم تكن صور حفلة زفاف أبي وأمي كثيرة؛ فقط ثلاث صور؛ لكن في إحداها وجدت أجدادي؛ ثلاثة منهم... الحاج إبراهيم أبو العريس... الحاج فرحات أبو العروس؛ والحاجة اعتماد أم العروس؛ وكان معهم مصباح٧؛ الأستاذ كمال محروس خال العروس.

ها هم كل أهلي أمامي في صورة واحدة؛ ها هي هويتي الحقيقية التي بحثت عنها لشهور طويلة... وماذا بعد أن وجدت نفسي؟

بين يديّ سر لعنة حيرت الجميع؛ سر لا يعرفه غيري وأعتقد أنه آن الأوان كي أكشف هذا السر للعالَم؛ لكن كيف أفعل هذا وماذا أقول لهم... وكيف سيتلقى أبي مراد الخبر وماذا ستكون نظرته لأمي وغضبه عليها؛ أي حيرة هذه؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

واصلت العمل والأسئلة عما يجب أن تكون عليه الخطوة التالية بالنسبة للسر الذي يملأ حياتي؛ ثم كان خطاب فراق:

١١- عزيزي تاج التكنولوجيا

أكتب لك هذه الكلمات من كمبيوتر صديقتي وجدان؛ أنا في بيتها الآن وأكتب لك من عليه؛ لديها بجوار الكمبيوتر طابعة سأطبع عليها الخطاب؛ وبالطبع لن أطيل الحديث في هذا الخطاب لأني في بيت أغراب وأشعر أنني على غير راحتي وأن وجدان التي تركتني مع الكمبيوتر وجلست في نهاية الغرفة تراقب حركات يديّ على لوحة المفاتيح.

وجدان تسكن في حي راقٍ؛ بناية من عشرين طابقًا وهي في الطابق الحادي عشر؛ عندما عرفت هذا منها ونحن نقترب من باب البناية أشفقت على قدميّ من صعود كل هذه الطوابق، لكني فوجئت بأن هناك مصعد يحمل الناس رأسيًا إلى الطابق الذي يريدونه... إنها المرة الأولى التي أركب فيها مصعد؛ شعرت بالخوف وخفق قلبي بمجرد أن تحرك لأعلى.

أعتقد أن كلماتي لن تتمكن من وصف جمال بيتهم؛ حوائط ملونة وسجاجيد في كل مكان؛ أكاد لا أرى الأرض التي تحتها؛ نجف وتُحَف، إضاءة بأكثر من لون؛ وعندهم خادمة أنيقة، توقعت أنها من سكان البيت لكن عندما أحضرت لنا العربة التي كانت تجرها وفوقها بعض الحلوى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

والمشروبات عرفت أنها الخادمة من الطريقة التي تعاملت معها وجدان... عندما دخلت البيت تخيلت أني في متحف يشبه تلك المتاحف التي قرأت عنها في الكتب.

والد وجدان المهندس المعماري كان هنا عندما دخلنا الشقة؛ إنه أكثر شخص أنيق ووسيم رأيته في حياتي، حتى الشعيرات البيضاء القليلة على جانبيّ رأسه تُضفي عليه سحرًا خاصًا... سلم عليّ وحياني بابتسامة عذبة وقال لي ولوجدان: (أريد منكما نجاحًا بتفوق يا مهندسات المستقبل)، حتى صوته جميل ومميَز... ثم تركنا وذهب لحجرة مكتبه... ترى كم حجرة في هذه الشقة الطاغية الجمال؟

والدة وجدان متوفاة؛ وهي تعيش وحدها مع أبيها في كل هذا الجمال والاتساع... أنا لا أحسدها بل أتمنى لو أعيش يومًا واحدًا في حضرة جمال كهذا.

سأقضي الليلة كلها أحلم بهذا البيت الجميل الذي لم أدخل مثله من قبل؛ في الحلم سأركض في كل مكان فيه وألمس كل شيء، ربما دخلت إحدى اللوحات أو نمت فوق السجاجيد، في الحلم قد تجدني أجلس على حافة "فاظة" أو وسط نجفة... أنا الآن في مرحلة النظر فقط؛ أما في الحلم فأسمح لنفسي بكل ما أريده وإن لم يكن حلمًا حقيقيًا فسأجعله حلم يقظة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ما رأيك في خطاب بنكهة التكنولوجيا، هل هو أحلى أم خط يدي أحلى؟

تحياتي الإلكترونية.

فراق

كل كلمة من فراق لها نكهتها الخاصة وجمالها الآسر... لقد أصبحَت هي المادة الحية في نسيج أيامي الجافة... وشعرت بالغيرة من طريقة حديثها عن والد صديقتها المهندس المعماري؛ غيرة لا أدري حتى الآن ما هو مصدرها.

كنت في نوبة عمل مسائية انتهت في الصباح فقررت وأنا في طريق عودتي للمنزل أن أذهب لأرى أبي مراد وأحوال مرضه فكل حديث لي معه في التليفون كان يطمئنني بكلمات أعرف يقينًا أنها ليست صادقة.

مررت في طريقي إلى البيت على دكان "عم خَلَف" البقال؛ ابنه ما زال يعمل فيه؛ كبر كثيرًا في العمر وإبيض لون شعره؛ ألقيت عليه التحية وأكملت سيري؛ اختلفت المنطقة كثيرًا وظهرت محال لم تكن هنا من قبل وارتفعت أبنية.

دخلت البيت الذي اختفت منه رائحة أمي ونباتاتها؛ عرفت أن ندى تزوجت وكانت زوجة أبي في زيارة لها ولم تكن بالبيت؛ وجدت أبي والثلاثة أطفال الذي يُفترَض أنهم إخوتي... قضيت معهم وقتًا جميلًا لم يحدث وأن قضيناه من قبل وكان أبي مراد سعيدًا بزيارتي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وبقربي من إخوتي الصغار؛ أكلنا سويًا ولعبنا وضحكنا إلى أن عادت زوجة أبي من زيارتها لابنتها وتفاجأت بوجودي؛ سلمت عليها وطلبت منها أن تقوم بالاتصال بي في أي وقت تحتاجني فيه ثم انسحبت بهدوء من بينهم.

أصبحَت فراق تُكثر الكتابة لي وكأنها أحبتها؛ فلم يمر وقت طويل على خطابها السابق حتى وجدت خطابًا جديدًا منها:

١٢- عزيزي تاج السعادة

اليوم كذبت كذبتين؛ عندما سألتني وجدان وهايدي عن أهلي؛ قلت لهما أن لي أخ وحيد اسمه تاج، طبيب يُكمل دراسته في الطب في خارج البلاد؛ وأنا أعيش مع جدتي ضعيفة السمع والبصر... لقد اعتبرتك أخي؛ واعتبرت أم سعد جدتي.

بل لقد تماديت في كذبي وأخبرتهما بأن أخي عندما يأتي في أجازة من دراسته بالخارج سيحضر للكلية وأجعلهما يتعرفان عليه؛ ربما كنت أدعم كذبي بشيء يمكن تصديقه... هل ستفعل هذا؟ ومتى قد يحين وقت أجازتك؟

أنا اليوم سعيدة... أريد أن أُقبل كل شيء... فقد حصلت على الدرجة النهائية في أحد امتحانات الميكانيكا؛ وهذا إنجاز ما بعده إنجاز... فالميكانيكا من أصعب المواد التي ندرسها ودكتور المادة لا يتهاون مع أي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إجابة خاطئة؛ تخيل أنه يعطي درجات بالسالب لَمن يجيب إجابات خاطئة تتعدى الصفر... حصلت هايدي مرتين على (5-).

أنا مقصرة جدًا في القراءة؛ الدراسة والعمل في المكتبة يقضيان على كل وقتي... لذلك وبعد تفوقي اليوم في امتحان الميكانيكا قررت أن أُعطي نفسي يومًا أجازة أقضيه في عمل أكثر شيء أحبه في الحياة؛ القراءة.

منذ فترة ليست بالقصيرة وأنا أحب قراءة الشعر ومؤخرًا أحاول كتابته؛ لقد كتبت هذه القصيدة النثرية الجديدة منذ يومين:

سيجارة وكأس من الذكريات الحزينة يصنعان شجنًا لا بأس به...

قصيدة حب وطيف امرأة يأسران شاعرًا في مقتبل الشِعر...

جريدة وجرح وطن يسطران تاريخًا لماضٍ مفقود...

وردة وصورتك يخففان عن الغياب تعب الانتظار...

ملحوظة: أنا لا أحب السجائر لكني مدمنة ذكريات.

دعني أُخبرك بأحد عيوبي... أنا شخص لا أُحسن التعامل مع المجتمع من حولي؛ أو بمعنى أدق لا أعرف الوصفة الصحيحة للتعامل الناجح مع الآخرين؛ وكخبيرة في الانطواء، كثيرًا ما تتقافز من حولي كل شياطين الوحدة... يمكن أن نصف كل هذا الذي قلته بأني أمتلك قدرًا كبيرًا من الغباء الاجتماعي... قد يرجع هذا لارتفاع منسوب الخجل في دمي أو

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لانخفاض مستوى الخبرة لديّ في الحياة؛ في المجمل نستنتج من كل هذا أنني شخص غير اجتماعي.

كنت أتدرب على كيفية الاستنتاج؛ هل الفقرة السابقة تُعتبر بداية جيدة للتدريب؟

تحياتي وابتساماتي

فراق

اليوم خرجت من حجرة العمليات فوجدت ثلاثة اتصالات من أبي مراد على تليفوني المحمول؛ شعرت بالقلق فقمت بالاتصال به فردت زوجة أبي وهي تبكي وتُخبرني أن أبي في أشد حالات التعب وقد نقلوه للمستشفى.

في المستشفى التي كان يرقد فيها رأيت علامات الموت واضحة عليه؛ عمتي بجواره تقرأ له آيات من القرآن الكريم؛ وزوجة أبي تجلس على كرسي واضعة يدها على خدها... تحدثت مع الأطباء وكانت الحالة كما أرى في المرحلة الأخيرة... لم أتركه الثلاثة أيام الأخيرة من حياته؛ وعندما رحل بكيته بالضبط كما بكاه أطفاله الصغار.

قضيت معظم أيام العزاء معهم؛ أخفف عنهم قدر استطاعتي؛ ثم طلبت من زوجة أبي أن تحدثني في التليفون وقتما تحتاجني وأنا سآتي من وقت لآخر للسؤال عنهم... وانسحبت في حداد صامت مع

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

نفسي؛ لم يكن بيني وبين أبي مراد حب كبير كأمي رجاء؛ لكنه كان يعتبرني ابنه وهذا يكفي كي أحبه.

عدت للمستشفى لأجد الجميع يواسونني على هذا الفَقْد وأجد موتًا آخر في انتظاري داخل خطاب من فراق التي لا تعرف بموت أبي:

١٣- عزيزي تاج الرحيل

ماتت أم سعد... عدت من الكلية لأجدها تنام على السرير وهي تضع صورة سعد على صدرها وعلى شفتيها ابتسامة هادئة؛ ناديتها فلم ترد، هززتها فسقطت يدها بجوارها... كنت قد عشت موت أبي وأعرف علاماته؛ ورغم هذا انتابني نفس الخوف ونقشت جلدي نفس القشعريرة... جريت لحجرات الجيران أسألهم المساعدة فجاءوا على الفور وأخبروني بموتها... تكاتف الجميع واشتروا لها كفنًا؛ وتم كل شيء بسرعة إلى أن دفناها في قبر بعيد عن المقابر التي بها حجرتي؛ وبعد أن ذهب الجميع جلست أنا بجوار القبر أبكيها وحدي؛ أخيرًا وجدَت سكنًا لا يطالبها فيه أحد بإيجار ولا يطردها منه أحد... أحضرت حجرًا وكتبت عليه اسمها؛ أم سعد؛ وتاريخ وفاتها، ولم أكن أعرف تاريخ ميلادها... ماتت وهي تنتظر عودة سعد.

عادةً لا أؤمن بالمقولات الشائعة لكني على وشك أن أفعل... فمقولة "المصائب لا تأتي فُرادى" تنطبق عليّ هذه الأيام، وربما أضعها في صورة

للمّزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تليق بما أنا فيه "الموت لا يأتي فُرادى"... فبعد ثلاثة أيام من موت أم سعد عدت للكلية لأجد موتًا آخر في انتظاري؛ موت لم أكن أتوقعه أو يخطر حتى لي يومًا على بال... لقد ماتت هايدي أو بمعنى أدق انتحرت.

تركت لنا خطابًا مع زميلة في الكلية وأخبرتها ألا تُعطينا الخطاب إلا بعد عدة أيام؛ بعد أن تكون قد نفذت خطتها في الانتحار... قالت لنا في الخطاب أن والديها قررا أن يُبعداها تمامًا عن شادي بالسفر إلى حيث لا يمكنها أن تراه، وأنهم قد يفعلون أي شيء لقتل ما في قلبها من حب أو لقتلها هي شخصيًا إذا لزم الأمر؛ فقررت أن تستريح وتُريح الجميع منها؛ بعد أن أصبح كل شيء عبئًا لا يمكنها أن تتحمله.

الخطاب الوحيد الذي جاءنا منها كان خطاب موت... أنا حزينة؛ لا بل أنا في قمة حزني ... ها هو مثلث الصداقة قد نقص ضلعًا.

لم تتحمل البعد عن شادي فابتعدت عن كل شيء... أهكذا الحب يقتل؟

تحياتي ودموعي

فراق

خطاب فراق زاد من عمق الحزن بداخلي وبدا لي أننا في موسم الحصاد... حصاد الأرواح.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سحبت نفسي من الموت الذي كان يملأ الخطاب وعدتُ لأفكر في موت أبي مراد... ها قد مات الذي كنت أخشى أن يعرف السر؛ يجب عليّ الآن أن أفعل شيئًا ليعرف العالَم مَن هو مصباح٧، مَن أنا، ومَن هم أهلي، أهل القرية التي وصفوها بالملعونة... ربما لو كشفت السر يتم فك اللعنة ويتذكر الناس ذويهم اللذين كانوا في القرية... وتعود للناس ذاكرتهم عنهم... ربما بمعرفتي هذه تزول اللعنة ويعود للقرية اسمها الأصلي.

في طريق عودتي للمنزل بدأ يهطل المطر بقطرات متأنية فظللت أسير أسفله أتمنى لو أمكنه أن يغسل روحي المُتعبة... ولم أكن أدري أكانت السماء تُمطر أم النجوم تبكي؟

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

١٩

أخيرًا توصلت للخطة التي يجب أن أتبعها كي أُخبر العالَم بالسر الذي أعرفه؛ إنه التليفزيون؛ أكثر وسيلة ناجحة يمكن أن توصل الخبر لأكبر عدد من الناس؛ تذكرت أني لا أمتلك تليفزيونًا في منزلي؛ فقررت أن أشتري واحدًا.

لمدة شهر كامل ظللت أتابع البرامج المختلفة التي يعرضها التليفزيون حتى أجد البرنامج الذي يستحق أن أكشف له فصول هذا السر الثمين كي يعرضه على الجميع؛ قارنت بين البرامج المختلفة والمذيعين والمذيعات الذين يقدمونها إلى أن وجدته؛ برنامج اسمه (مدن وقرى)؛ تقدمه مذيعة في حوالي الخمسين من عمرها أو أكثر قليلًا لكنها تحمل جمالًا لم يَخْبُ بعد؛ أنيقة الملبس، متأنية في كلماتها... كانت هي هدفي؛ يجب أن أقابلها وأقص عليها الحكاية التي أريد للعالَم أن يعرفها.

ذهبت لمبنى الإذاعة والتليفزيون وعلى الباب طلبت مقابلة المذيعة (أحلام ريان)؛ لكنهم رفضوا أن يجعلوني أدخل المبنى الذي يحتاج لتصريح كي أدخله... أنا لا أعرف لها عنوانًا أو رقم تليفون أو أي شيء؛ فقررت أن أنتظرها في يوم إذاعة برنامجها الأسبوعي؛ لا بد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أنها بعد انتهاء البرنامج ستخرج من المبنى وهنا يمكنني أن أقابلها... لكن كيف ستواجه تطفلي هذا؛ وهل ستقبل أن تسمع قصتي أم لا؛ وإذا سمعتها، هل ستصدقها؟ لم يكن أمامي غير المحاولة.

في الموعد الذي ينتهي فيه برنامج (مدن وقرى) في الساعة العاشرة مساءً كنت أقف على باب مبنى الإذاعة والتليفزيون أنتظر مذيعة البرنامج، الأستاذة "أحلام ريان"؛ انتظرت ما يقرب من نصف ساعة إلى أن رأيتها تخرج من باب المبنى؛ فاتجهت مسرعًا ناحيتها بادئًا حديثي بأقصر الطرق للدخول في الموضوع:

- أستاذة أحلام... عندي سر هام أريد للعالَم أن يعرفه من خلال برنامجك.

نظرت إليّ بعينيها الجميلتين ودون أن تتوقف أكملت سيرها وهي تقول:

- سر؟ عن ماذا؟

سرت بجانبها وأنا أقول:

- عن القرية التي أصابتها لعنة واحترقت وفقد كل الناجين منها ذاكرتهم؛ كان هذا منذ ما يزيد عن سبعة وعشرين عامًا.

كلماتي جعلتها تتوقف تمامًا عن السير وتلتفت بكل جسدها ناحيتي وتقول وقد ضيقت ما بين عينيها وبدا عليها الاهتمام الشديد:

- أي سر؟ ومَن أنت؟

- سر اللعنة... وأنا الناجي الوحيد الذي تبقى من اللعنة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

شهقت بصوت مسموع وقد فتحت عينها على آخرهما وهي تقول:

- تاج؟ لكن تاج اختفى ولم يعرف أحد أين ذهب؛ وربما مات في ظروف غامضة.

بدا من حديثها أنها تعرف القصة جيدًا؛ ثم أردفت قائلة:

- كيف لي أن أصدقك؟ ربما كنت محتالًا تريد الشهرة.

- أنا لستُ محتالًا؛ اسمعيني أولًا أرجوكِ ثم احكمي... أنا طبيب جرَّاح وهذه بطاقة هويتي إن لم تكوني تصدقينني.

أخرجت لها بطاقة هويتي ووضعتها أمام عينها فنظرت فيها وهي في يدي دون أن تُمسكها ثم قالت لي:

- تعالى معي.

تبعتها حيث سارت إلى مقهى قريب لم يكن به الكثير من الناس وجلسنا في ركن منعزل وبدأت أقص عليها الحكاية من أولها؛ من بداية أن عرفت أني ابن هذه القرية وما تبع ذلك من كشف للأحداث... شرب كل منا ثلاثة أكواب من الشاي وفنجانين من القهوة وجلسنا هناك ما يقرب من الساعتين حكيت لها خلالهما عن خطاب أمي ودفتر مصباح٧ وملفات الصور التي وجدتها بالمدرسة وكيف أني عرفت من خلال هذه الصور أبي وأمي الحقيقيين... حكيت لها كل ما أعرفه وبدا عليها التصديق لكنها طلبت مني أن آتيها بهذه الأشياء كي تراها، وحددت لي موعدًا كي أذهب إليها بعد يومين في مبنى الإذاعة والتليفزيون وستترك لي تصريحًا باسمي على الباب.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

انتظرت مرور هذين اليومين بفارغ الصبر؛ وخفف عني عذاب الانتظار خطاب جديد من فراق:

١٤- عزيزي تاج الصراحة

سأعترف لك... أنا أكتب هذه الخطابات أولًا في مفكرة لديّ ثم أقوم بنقلها في ورقة جديدة قبل إرسالها، حتى الخطاب الإلكتروني طبعت منه نسختين أرسلت لك واحدة ولصقت الأخرى في مفكرة الخطابات؛ واليوم وأنا أُلقي نظرة على ما كتبته لك خلال الشهور الماضية لاحظت أني أُنهي كل خطاب بسؤال؛ لا بد وأنك تقول عني أني "ملكة الأسئلة"... ومن منطلق قولك هذا (شعوري أكيد أنك قلت عني هذا) أحب أن أُوضح لك شيئًا هامًا عني... منذ صغري وأنا أسأل أسئلة كثيرة، لكن في الحقيقة أنا لا أنتظر إجابات على معظم هذه الأسئلة؛ فقط أريد أن أشاغب عقل الذي أمامي كي يفكر فيما أقول؛ وعقل الإنسان عادةً لن يضطره للتفكير في كلمات ما إلا إذا قمنا بتصويب سؤال في مرمى عقله؛ هنا فقط يصحو العقل ويبدأ في البحث عن إجابة.

فلا تقلق من أسئلتي؛ يمكنك أن تحتفظ بكل الإجابات لك؛ أنا فقط أسألها ولا أنتظر إجابة عليها.

اليوم تعرضت لموقف كنت أخشاه وكان يلاحقني... وأنا أعمل في المكتبة دخل رجل طويل ووسيم للمكتبة، رجل أعرفه ورأيته مرة واحدة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

من قبل؛ ومن ورائه رأيت فتاة كانت معه؛ إنها وجدان ووالدها المهندس المعماري الأنيق؛ كنت وحدي في المكتبة ولم أكن أدري ماذا أفعل؛ للحظة كدتُ أن أفار ثم تماسكت ووقفت مرفوعة الرأس؛ في البداية كانت وجدان تحسبني في المكتبة كي أشتري بعض الكتب لكني أوضحت لها ببساطة أني أعمل في المكتبة؛ أحتاج لهذا العمل؛ قالت لي إن العمل أشرف شيء في الحياة وأننا أغنياء كنا أم فقراء يجب أن نعمل كي نستحق الحياة... لا أدري أهي صادقة فيما قالت أم أنها تهون عليّ حالتي؟

طلبت منها ألا تُخبر أحدًا في الكلية بهذا؛ فوعدتني بذلك.

اشترت وجدان كتاب قصص قصيرة لكاتبة لا أعرفها ولم أقرأ لها شيئًا من قبل، قالت لي إنها اشترته لأن غلاف الكتاب أعجبها... واشترى والد وجدان بعض الكتب العلمية كبيرة الحجم وابتسم لي واحدة من ابتساماته الساحرة ثم ذهبا.

هذا الرجل به شيء غامض لا يمكنني تفسيره؛ وكأن في عينيه غيم، وأنا لا أحمل مظلة.

هناك موضوع يشغلني بشدة وأريد أن أُحدثك عنه... ففي نهاية رحلتي العلمية التي تتكفل بها أنت؛ ترى كيف ستقوم بحساب الثمن الذي يصلك بما أكتبه لك من خطابات مقابل نقودك؛ هل سيكون الحساب بعدد الخطابات؛ أم بعدد الكلمات بها؛ أم بما تحتويه... تشغلني كثيرًا هذه المعادلة ولا يمكنني إيجاد حل لها... هل لديك حل لهذه المعادلة الصعبة؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أخبرني أيضًا بإمكانية أن نلتقي يومًا في نص واحد... أم أن كل النصوص بيننا بحار بلا شواطيء؟

تحياتي ومودتي

فراق

قيمة خطاباتكِ يا فراق تفوق قيمة نقودي بكثير... ليتني أعرفك من قبل؛ ليتكِ تكتبين لي منذ زمن.

بعد يومين ذهبت لمبنى الإذاعة والتليفزيون مُحَمَّلًا بكل ما معي، ما وصلني وما استطعت الحصول عليه؛ سر اللعنة وحقيقة مَن أكون... على باب المبنى وجدت تصريحًا باسمي أخذته وصعدت إلى حيث مكتب الأستاذة أحلام؛ كانت في استقبالي بابتسامة مشرقة هذه المرة؛ اطلَّعَت على كل ما معي وطلبت مني أن تحتفظ بهذه المستندات فرفضت؛ إنها لي وحدي؛ سمحت لها بأن تقوم بأخذ صورة منها ما عدا خطاب أمي ودفتر مصباح٧؛ فهما لي وحدي.

أمسكَت بالصور وتفحصتها جيدًا ثم قالت لي:

- أنا أصدقك يا تاج... أنا كنت هناك ورأيتهم وتحدثت معهم.

- متى هذا؟ وماذا قالوا؟

- كنت مذيعة حديثة التخرج ببرنامج لا يشاهده الكثيرون بعد؛ وكانت هذه القرية مادة خصبة لأزيد من نسبة مشاهدة برنامجي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الجديد ومن فرصة انتشاري ومعرفة الناس بي... بمجرد أن سمعت عن هذه القرية وما أصابها ذهبت مع فريق التصوير وتجولت في المخيم وتحدثت معهم؛ في عدة حلقات من برنامجي.

- أين هذه الحلقات؟ أريد أن أراها أرجوكِ؛ أريد أن أشاهدهم بعيدًا عن الصور؛ أريد أن أرى مصباح٧ وأمي وأبحث عن أبي بين الوجوه.

- بالطبع لم أقم بتصوير الجميع هناك؛ لكن أعتقد أنه يجب أن نرى هذه الحلقات الآن؛ لا بد أنها ما زالت محفوظة في الأرشيف.

رفعت سماعة التليفون وتحدثت مع الأرشيف؛ ثم قالت لي أنهم سيبحثون عنها ويحضرونها خلال عدة أيام؛ كنت في غاية السعادة لأني سأراهم يتحركون ويتحدثون، سأرى صورة حية منهم... أعطتني رقم تليفونها المحمول وأخذت رقمي؛ قالت لي أنها ستخبرني بمجرد أن تحصل على حلقات البرنامج القديمة عن القرية وأنها ستبدأ في إعداد حلقات جديدة لكشف السر وعرض الصور، وأنني سأكون ضيف هذه الحلقات؛ أنا الناجي الوحيد من القرية.

كان عليّ أن أُخبر ثلاثة أشخاص بحقيقتي قبل أن يعرفوها من حلقة تلفزيونية؛ عمتي ورضا وحسن... بدأت برضا وحسن... دعوتهما عندي في الشقة للحديث في موضوع هام؛ حضرا في الموعد الذي اتفقنا عليه بعد صلاة العشاء؛ وقال رضا بمجرد أن دخل البيت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- ما هو جديدك الآن؛ هل أحببت من جديد أم فارقت أم ماذا؟

ابتسمت له ولم أرد بشيء؛ الموضوع أكبر من حب وفراق... أعددت الشاي لثلاثتنا وجلسنا في مواجهة النافذة المشرعة على سماء سوداء بعيون مضيئة؛ بدأت حديثي محتارًا من أين أبدأ وماذا أقول؛ فبدأت بسؤال:

- هل إذا أصبحت شخصًا آخر سيؤثر هذا على صداقتنا؟

رد حسن مستغربًا سؤالي:

- ماذا تعني بشخص آخر؟

ثم سأل رضا:

- عفريت مثلًا؟

استجمعت قوايّ وقلت لهما:

- أنا بشكل ما لست أنا.

قضب حسن جبينه وزم شفتيه ورد رضا قائلًا:

- يا مساء الألغاز... أسرع بالتفسير أرجوك.

هما يعرفان أنني شخص لا يحب المزاح ولم يكونا يفهمان شيئًا مما أقول فدخلت في الموضوع مباشرةً وقصصت عليهما كل الحكاية... استمعا لي في صمت مصحوب بدهشة إلى أن أنهيت كلامي فقال حسن:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- حكاية أغرب من الخيال؛ لولا معرفتي بصدقك في كل ما تقول لقلت أنها من نسج خيالك.

وقال رضا:

- وكأني أسمع حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة والمصباح السحري.

المهم عندي أنهما صدقاني ووعداني بأنهما لن يتخليا عني في أي موقف أيًا كان؛ وأخذا يسألاني عما أنوي فعله بعد معرفة هذا السر، وناقشا معي تبعات كشف السر للجميع، واقترحا آراءً وقدما دعمًا معنويًا كبيرًا لي في كل ما أنوي فعله؛ وطلبا مني أن أخبرهما باستمرار بكل جديد... كنت في أمس الحاجة لوقفتهما هذه بجانبي... شعرت بهما وكأنهما إخوتي الذين لن أحظى بهم أبدًا... وضع حسن يده على كتفي وهو يغادر وقال:

- نحن نعرفك أنت يا تاج... ابن مَن، فهذا لا يهمنا في شيء.

وأضاف رضا:

- لتكن ما تكون يا تاج؛ هذا لا ينقص من كوب صداقتنا قطرة واحدة.

بعد أن ذهب رضا وحسن جلست أفكر: هل أبواهما هما أبواهما؟ ربما يكتشفان مثلي أنهما ليسا ما كانا يعرفان ويعيشان العمر عليه... ما هذا الذي أفكر أفيه؟ نفضت هذا الخاطر من رأسي وأخرجت من حقيبتي خطاب فراق الذي كان منسيًا هناك على غير

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

عادتي وبدأت أقرأ:

١٥- عزيزي تاج اللقاء

وأنا صغيرة كنت طفلة أحب الرسم؛ أرسم الحروف لا أكتبها... وفي أحد الأيام رسمت أمي التي لم أرها يومًا واحدًا على هيئة (ميم) ثم شبكت بها أبي على هيئة (عين)؛ ثم تعلقت أنا وأخواتي البنات في ذيل العين لتحملنا جميعًا كلمة واحدة (مـــع).

اقتربت امتحانات آخر العام وازداد الجو حرًا... يجب أن أبذل مجهودًا أكبر في المذاكرة؛ أنا أخطط لتقدير لا يقل عن جيد جدًا... كلية الهندسة وخاصةً العام الأول فيها "إعدادي هندسة" تحتاج لأشخاص لديهم قدرة عالية على تحمل الصعاب؛ أرواح مقاتلة، فكما أسمع من الجميع إنها السنة الأصعب في طريق الهندسة... وأجد نفسي قادرة عليها وعلى ما هو أصعب منها؛ لقد عشت الأصعب في حياتي؛ الحياة في مقابر ووسط أموات.

أحيانًا عندما أعيد قراءة ما أكتبه لك أقع في حيرة من نفسي ولا أدري كيف أكتب لك بكل هذا القدر من الصراحة وبدون أدنى خجل مني في بعض ما أحكيه؛ وكأني بالفعل أكتب لنفسي؛ فأنا لا يمكن أن أواجه أحدًا بكلماتي هذه؛ لم أفعلها يومًا ولن... أنت فقط مَن اخترق الحُجب التي أُحيط بها نفسي ورأى كيف تبدو روحي من الداخل.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كثيرًا ما أفكر في اسمي الذي التصق بي؛ فأنا موعودة بالفراق أينما ذهبت؛ فارقت أمي مع أول دقيقة لي في الحياة؛ وفارقت أخواتي البنات الواحدة تلو الأخرى؛ وفارقت أصدقاء المدرسة ثم فارقت أبي وأنا أبدأ حياة جديدة فيها عمل؛ ثم فارقت أم سعد التي كانت تملأ الحجرة من حولي، وأخيرًا فارقت هايدي.

أخشى يا تاج أنني قدم فراق على كل مَن يعرفني.

إنه يوم الجمعة؛ يوم أجازتي الوحيدة، وفي العاشرة من صباح هذا اليوم كان هناك وافد جديد من الأموات سكن على بعد عدة أمتار من حجرتي؛ وفي الواحدة ظهرًا نشب شجار بين بعض الأطفال تحطم على أثره جزء من شاهد قبر قديم... وقبل مغيب الشمس مرت من أمام "الحوش" جنازة مهيبة؛ ظللت أتابعها من نافذة حجرتي حتى آخر فرد يسير فيها؛ لا بد أنه ميت كان ذو شأن بين الأحياء؛ ترى ما هي منزلته الآن وسط الأموات؟

مراسلتكم الخاصة من المقابر

فراق

يعجبني أسلوب فراق وطريقتها في الكتابة والحكي؛ ربما كانت هي الأخرى بنت أُناس آخرين، سرقها العم جابر من أهلها الأغنياء؛ لكن لماذا عساه قد يفعل هذا؟ هل يُعقل؛ هل من المحتمل؟ كنت في حالة هذيان واضحة عن كل المحيطين بي نتيجة لما أكتشفه كل يوم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

عن نفسي وأهلي وهويتي كلها.

كانت المهمة الأصعب هي أن أخبر عمتي؛ كيف سيكون تقبلها للأمر وكيف ستكون نظرتها لي؛ هل ستغضب وتثور وتلعن أمي رجاء في قبرها؛ هل ستطردني من أمامها وتقطع كل الصلات بيني وبينها؛ ماذا عساها أن تفعل؟

قبل أن أذهب إلى عمتي ذهبت للمقابر؛ وأمام قبر أبي مراد جلست صامتًا لبعض الوقت ثم أخبرته بكل شيء، بأني لست ابنه الذي كان يظن؛ طلبت منه أن يسامحني لأني لم أجد الشجاعة الكافية كي أخبره بهذا قبل موته؛ أكدت عليه بأني سأظل أعتبره أبًا لي وأبناءه في منزلة إخوتي... قلت للقبر الصامت أمامي كل ما كان يجول بنفسي ثم انسحبت من أمامه وأنا لا أدري كيف تقبلت روحه كل هذا الذي قلته.

ذهبت إلى عمتي بدون اتصال سابق وكانت بمفردها في المنزل؛ استقبلتني بسعادة وأجلستني معها في المطبخ وهي تعد الطعام كما كانت تفعل وأنا صغير؛ كانت تحرك طعامًا في إناء موضوع فوق النار عندما قلت لها وبدون مقدمات:

- عمتي... أنا لست ابن أخيكِ.

توقفت عن تحريك الطعام في الإناء والتفتت برأسها في اتجاهي وقد طلت من عينيها أسئلة كثيرة.

أرجوكِ اجلسي هنا أمامي واسمعي حكايتي التي عرفتها مؤخرًا ثم احكمي عليّ بما تشائين، واعلمي أني لم يكن لي يد في كل هذا؛ أنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كنت مُسَيَّر لا مُخَيَّر... أطفأت النار ووضعت الملعقة داخل الإناء وجلست وهي في حالة دهشة وترقب، واستمَعت إليّ وهي صامتة تمامًا ثم نزلت دموعها غزيرة فقمت من مكاني واحتضنتها وبكيت أنا الآخر؛ وبعد أن هدأت قالت لي:

- الله يرحم الأموات جميعًا... منزلتك عندي يا تاج لن تتغير أيًا كان أبوك أو أمك.

■ ■ ■

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

٢٠

كنت في المستشفى عندما اتصلت بي الأستاذة أحلام وقالت لي أنه يمكنني أن أحضر لمكتبها الآن إذا أردت؛ فأنهيت ما كان معي من عمل وغادرت المستشفى مسرعًا.

في مكتب الأستاذة أحلام كانت تصطف أمامها حلقات برنامجها القديمة عن القرية؛ وضعت أول حلقة والتي كان عنوانها (قرية ولعنة)، العنوان الذي اتخذه مصباح٧ عنوانًا لمذكراته... بدأنا نشاهد الحلقة معًا... ظهرت بيوت القرية المتفحمة ثم ظهر المخيم؛ هنا كان يعيش مصباح٧ وأمي أسورة ولا أعرف إن كان أبي وأجدادي وباقي أقاربي كانوا من الناجين أم لا... أخذت أنظر بتركيز لكل ما تمر عليه الكاميرا؛ أتفحص كل الوجوه؛ وعندما مرت سريعًا على وجه أعرفه جيدًا، وجه مصباح٧، طلبت منها أن تُعيد هذه اللقطة وتثبتها؛ وبالفعل رأيته، إنه كما كان في الصورة وكما ذكر في دفتره أنه كان يسير وراء المذيعة مع جَمْع من الفضوليين بما فيهم هو.

واصلت عرض شريط الفيديو حيث دخلت أستاذة أحلام بالكاميرا خيمة للرجال وسألتهم عدة أسئلة؛ نظرت لوجوههم جيدًا لكني لم أكن أعرفهم ولم يكن من بينهم أبي... ثم دخلت خيمة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

النساء، على بابها رقم الخيمة التي أظهرته الكاميرا (٧ ب)؛ الخيمة التي شاهد فيها مصباح٧ الفتاة التي أحبها أسورة٣ والتي تحدث كثيرًا عنها في دفتره؛ ترى أي منهن تكون.

في هذه الخيمة رأيت أمي، هي بالضبط كما رأيتها في صورة زفافها... الفتاة الشابة التي سألتها المذيعة:

- وأنتِ؛ ألا تتذكرين زوجًا أو حبيب؟

فردت عليها بصوت رقيق قائلة:

- لا أذكر شيئًا.

بالتأكيد إنها هي كما في صورة الزفاف مع أبي؛ نفس لون بشرتي ونفس لون عينيّ... طلبت من أستاذة أحلام أن تثبت اللقطة عليها وأخرجت من حقيبتي الصورة التي بها أبي وأمي واقتربت بها من الشاشة وأنا أقول لها:

- انظري يا أستاذة... إنها هي أمي.

- نعم يا تاج؛ هي بالفعل... سبحان الله... كانت الخيام كثيرة أمامي لكن القدر جعلني أدخل هذه الخيمة بالتحديد لألتقط صورة حيّة لأمك لتراها أنت بعد كل هذه السنين.

شاهدنا باقي الحلقات ولم أجد بها أبي ولم أرَ فيها مصباح٧ أو أمي مرة أخرى... الحلقة الأخيرة لها معهم كانت بعد عام من اللعنة؛ تجولَت أستاذة أحلام بين الخيام وتحدَثت مع البعض لكني لم أرَ فيهم أحدًا أعرفه.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كانت هناك حلقة ليست من البرنامج لكنها للقـــاء عقـده مخـرج فيلم (دولة بلا ذاكرة) مع أهل المخيم ليرى نسخة حقيقية من هؤلاء الذين سيبني فكرة فيلمه عليهم؛ كانت في هذا اللقاء الكاتبة التي كتبت قصة الفيلم... وبينما الكاميرا تجول بعدستها وسط الحاضرين رأيت مصباح٧ يجلس في الصف الأول في مواجهة كاتبة الفيلم التي كانت تنظر إليه وينظر إليها وهنا ثبتت الكاميرا عدستها عليهما ورأيتها تسأله:

- كم حياة عشت من قبل؟

ورد عليها دون أن يعطي نفسه وقتًا للتفكير:

- حياة واحدة لا أتذكرها... وحيوات كثيرة صنعتها بخيالي.

ها أنا ذا أسمع صوته؛ أراه وأسمعه؛ كنت في غاية السعادة واقتربت من الشاشة إلى أن كدت أن ألصق وجهي بها ثم طلبت من أستاذة أحلام أن آخذ نسخة من هذه الحلقة؛ ونسخة أخرى من الحلقة التي فيها أمي أسورة؛ فوافقت.

في كل يوم كان يأتيني اتصالان هاتفيان؛ واحد من رضا وآخر من حسن يسألاني كما حدث وعن آخر المستجدات وأين سأذهب وماذا سأفعل.

وفي إحدى الأمسيات طرقت باب جاري الأستاذ مينا؛ كان من اللذين يجب أن يعرفوا السر مني مباشرّة قبل أن يسمعه من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

التليفزيون... قابلني بترحابه المعتاد وأحضر لي زجاجة عصير وعرض عليّ لوحة جديدة رسمها مؤخرًا وهو يقول لي:

- هذه لوحة عن الغربة؛ انظر هنا.

وأشار بإصبعه لنقطة صغيرة وسط اللوحة التي كانت عبارة عن صحراء شاسعة بها قطرة ماء وحيدة؛ وأكمل قائلًا:

- قطرة الماء هذه تمثل غربة حياة وسط الجفاف؛ لا هي حياة مكتملة ولا هي جزء من العدم.

أمعنت النظر في نقطة الماء التي كانت تشبهني بشكل ما وقلت له:

- أنا أيضًا يا أستاذ مينا نقطة حياة وسط حقل موت.

اندهش لسماع كلماتي هذه ولم يعقب عليها وانتظر مني تفسيرًا فقلت له:

- لدي شيء هام جئت لأخبرك به.

استمع إليّ بتركيز تام حتى آخر كلمة؛ ثم عقب قائلًا:

- أنت حالة نادرة في هذه الحياة يا تاج؛ اختصك الرب بما لم يختص به أحدًا آخر؛ ربما لأن لك قلب ليس لغيرك... ما أجمل عطايا الرب... اشكره دائمًا عليها أيًا كانت.

- الحمد لله.

استمرت الاستعدادات عدة أيام للحلقات التي ستذيع فيها أستاذة أحلام هذا السر والتي كان مقررًا أن أكون ضيفًا رئيسيًا فيها؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وقبل الحلقة الأولى احترت ماذا أرتدي في حدث هام كهذا؛ هام بالنسبة لي وبالنسبة لقرية بأكملها لم ينجُ منها أحد... لم أجد شيئًا مناسبًا غير قميص مصباح٧ الذي كان يخبئ بداخله الدفتر وما فيه من حكايات؛ القميص الذي احتضن السر لأعوام طويلة... على الفور أخرجته حيث كنت أضعه في خزانة ملابسي وغسلته جيدًا وقمت بكيه.

وفي يوم الحلقة التلفزيونية ارتديت قميص مصباح٧ الأبيض وبنطال أسود ولم أكن في حاجة لأن أُعد الكلمات التي سأقولها أمام الكاميرا، كل شيء كان حاضرًا ماثلًا بداخلي... وقبل أن أخرج من الشقة رن جرس هاتفي النقال وإذا به رقم عمتي يظهر أمامي؛ رددت على الفور سعيدًا بهذا الاتصال الذي جاء في وقت حاجتي إليه فسمعت صوتها يقول لي:

- ربنا معاك يا تاج... أنا أمام التليفزيون أنتظر البرنامج وسأنتظرك بعد أن تنتهي الحلقة... تذكر باستمرار أن بيتك هنا يا تاج وأنا سأظل عمتك طول العمر.

وكأنها مسحت بكلماتها هذه على قلبي المضطرب، وعندما خرجت من باب الشقة وجدت جاري أستاذ مينا يقف على باب شقته ينتظرني وفي يده وردة وردية اللون قدمها لي وهو يقول:

- اجعل كلماتك عن أهل قريتك مثل هذه الوردة ثم ضعها على مقبرتهم؛ يباركك الرب يا تاج.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

نزلت من الشقة فوجدت رضا وحسن بانتظاري أسفل المبنى؛ ما أجمل أن تحيط بنا قلوب كهذه تهتم بنا وتكون حاضرة وقت احتياجنا لها دون طلب مسبق منا... ذهبا معي في أول ظهور لي على الملأ بعد اختفائي من الحكاية منذ أكثر من ربع قرن... كانت كلمات عمتي ووردة أستاذ مينا وذهاب رضا وحسن معي بمثابة ثلاث قوى جديدة أُضيفت لقوة قميص مصباح٧ الذي أرتديه.

في الحلقة الأولى لكشف سر هذه القرية وما حدث فيها كنت حاضرًا بجوار أستاذة أحلام، جزء حي من الحكاية التي ماتت؛ أرتدي قميص مصباح٧ والذي بدا واسعًا بعض الشيء عليّ لكني كنت أشعر بانتماء كبير لقريتي وأهلها وأنا أرتديه، أشعر بجزء من مصباح٧ حاضرًا معي.

قدمتني أستاذة أحلام على أني ابن هذه القرية؛ الناجي الوحيد منها "تاج لطفي إبراهيم"... وبدأت تُذَكِر المشاهدين بما حدث لهذه القرية في الماضي وتعرض عليهم أجزاء من الحلقات القديمة، ثم بدأت تذكر باختصار كيف تم اكتشاف السر بعد أكثر من سبع وعشرين سنة، وتعرض عليهم الصور وبعض مشاهد قامت بالتقاطها من المدرسة المحترقة والخزانة التي كان بها السر مدفونًا محفوظًا كل هذا العمر.

أشارت لي كي أتكلم وأُخبر العالَم بالتفصيل كيف أني حللت كل هذه الألغاز حتى كشفت الحقيقة؛ كيف كان وقع الخبر عليّ عندما عرفته... تحدثت كثيرًا وأنا أنظر لعدسة الكاميرا وقلت كل ما عندي؛ وفي نهاية كلماتي دعوت لأهل قريتي الأموات بالرحمة والغفران؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

طلبت من أبي مراد أن يسامحني وألا يُلقي لومًا على أمي رجاء؛ رجوت عمتي إقبال أن تظل على حبها لي كما كانت؛ وطلبت من كل الذين يعرفوني أن يتقبلوني بهويتي الجديدة؛ اسمي الثلاثي فقط الذي تغير لكني أنا هو نفسه التاج القديم.

في المستشفى عرف الجميع حكايتي وكنتُ مركز أحاديثهم الظاهرة والمختفية؛ رأيت في الأعين نظرات كثيرة ومتنوعة؛ نظرات فضول ونظرات شفقة وأخرى لها طابع الاندهاش أو عدم التصديق... سمعت أيضًا عبارات كثيرة لكني لم ألتفت لشيء ولم يكن يعنيني منهم شيء... في هذه الفترة لم يتركني رضا وحسن؛ كل يوم كنت أجدهم بجانبي يعطونني القوة الكافية كي أظل واقفًا منتصبًا في مواجهة لعنة قديمة أصبحت موصومًا بها.

في الحلقة الثانية من البرنامج بدأت أستاذة أحلام مذيعة البرنامج تتلقى اتصالات غريبة من أشخاص كلهم من كبار السن يقولون أنهم تذكروا فجأة أهلًا ومعارفًا لهم كانوا في هذه القرية؛ فجأة عادت لهم الذاكرة عن هؤلاء الذين ماتوا دون أن يتعرف عليهم أحد... ها قد تم فك اللعنة وعادت للناس ذاكرتهم عن القرية وأهلها.

هناك مَن تذكر أبويه بالقرية؛ وآخر تذكر أخته وزوجها وأبناءها؛ وكثيرون تذكروا زملاء دراسة وأصدقاء من أبناء القرية... وبدأ العديد منهم يتوافدون على المقبرة التي تضم رفات الجميع؛ يدعون

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لهم ويطلبون منهم السماح لأنهم تذكروهم بعد كل هذه الأعوام الطويلة.

كان برنامج (مدن وقرى) هو الشرارة التي جعلت عشرات البرامج الأخرى تتحدث عن حكاية هذه القرية؛ وتعددت اللقاءات معي ومع كل مَن تذكر أحدًا من القرية... لم يتذكر أحد أهلي أو مصباح٧؛ كل الذين تم تذكرهم أشخاص لا أعرفهم... وقال لي رضا يومًا بعد أن أصبح يراني كثيرًا في التليفزيون وفي برامج ولقاءات مختلفة:

- لقد أصبحت نجمًا تليفزيونيًا يا تاج؛ ليتني ابن حكاية عجيبة مثلك يا رجل.

لم أحاول تغيير بطاقة هويتي وشهادة ميلادي؛ تركتهما باسم الأم التي ربتني والأب الذي مات وهو موقن أني ابنه؛ لكني في أي مكان كنت أقوم بتعريف نفسي على أني "تاج لطفي إبراهيم"... وهكذا تكون القسمة عادلة؛ الأوراق لاثنين والواقع لاثنين.

في المستشفى بدأ الجميع يتقبلون صفتي الجديدة وعادوا للحديث معي كما كانوا من قبل، ومنهم مَن كان يقول لي: "حمد الله على السلامة يا تاج" وكأني كنت في سفر عمري كله... الوحيدة التي لم يصلها الخبر كانت فراق، فهي كما أعرف ليس لديها تليفزيون ولا تقرأ غير الكتب ولم أجد أي ذكر للموضوع في خطاباتها... ثم وجدت خطابًا جديدًا منها:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لقد عاد سعد من غيابه الطويل... عاد بعد موت أمه بشهر واحد فقط؛ أمه التي انتظرته بلهفة كل هذه الأعوام؛ تمنيت لو أن القدر كان رحيمًا بها فلا تموت حتى ترى ابنها الذي عاشت أكثر من عشرة أعـوام تنتظره وتتلهف على رؤيته؛ شهر واحد فقط هو كل ما كانت تحتاج إليه.

طرق باب حجرتي مع أذان العشاء؛ فتحت له ولم أعرفه؛ فقد تغير كثيرًا منذ آخر مرة رأيته؛ أصبح أطول وأكثر نحافة؛ وازداد اسمرارًا وحِدة في النظرات... عشرة أعوام ليست بالوقت القليل، لا بد أنها فعلت به الكثير؛ هو أيضًا لم يعرفني؛ سأل عن أبي فأخبرته أنه مات وأنا الوحيدة هنا؛ ذكرني بنفسه وقال لي أنه طرق باب حجرتهم كثيرًا لكن لم يفتح له أحد وسألني أين ذهبت أمه... نزلت دموعي عندما ذكر اسمها؛ وقلت له: "ماتت يا سعد؛ ماتت وهي تنتظرك؛ ماتت وهي تحتضن صورتك".

أفقده الخبر قدرته على الوقوف فجلس على عتبة الباب ووضع كفيه فوق وجهه؛ تركته يأخذ كل الوقت الذي يلزمه لتعذيب نفسه فيما فعله بتلك المسكينة؛ ثم رفع لي وجهًا قد ازدادت سمرته وطلب مني أن أدله على قبرها... أغلقت باب الحجرة وأخذته إلى حيث دفناها؛ في الطريق أخبرته بما حدث لها في غيابه؛ كيف انتظرته كل هذه الأعوام دون كلل أو ملل، كيف كانت تبحث عنه في وجوه الناس الذين تعرفهم والذين لا تعرفهم؛ كيف طردها صاحب الحجرة وألقى بها خارجها هي وأشياءها ولم تجده بجوارها ليدافع عنها؛ ليرد عنها جبروت الآخرين؛ ليجبر ضعفها بقوته... ثم سألته لماذا حتى لم يحاول الاتصال بها كل هذه الأعوام؛ يطمئنها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

عليه ولو حتى بكلمة؟ لم تكن تريد أكثر من هذا... سمع كل كلماتي وسؤالي ولم يجبني بشيء.

تركته عند القبر وعدت لحجرتي... تركته يقول لها وحده كل ما يريد؛ ولا أدري هل توجد في هذه الدنيا كلمات أو دموع قد تُكَفِر عنه الذنب الذي فعله بتلك المسكينة... ربما سامَحَته هي، فقد كانت تحبه وتفتقده بجنون؛ أما أنا فلا يمكنني أن أسامحه... هل تسامحه أنت؟

تحياتي

فراق

لا أدري يا فراق هل أسامحه أم لا... لا أحد يعرف ما مر به؛ ربما جعلته الحياة ينسى حتى نفسه... لكن هذا ليس مبررًا كافيًا كي ينسى أهله وبالأخص أمه.

لاحظت أني لا أشم كثيرًا روائح كريهة مع أحاديث المحيطين بي؛ هل تفشى الصدق فجأة بين الناس؟! وفي أحد الأيام أحضرت لي إحدى الممرضات بعض الأوراق والأشعة ونظرت لي نظرة غير مريحة؛ وبعد أن ذهبت لحجرة الممرضات أغلقت عينيّ حتى أسمع ما يقلنه عني؛ لكني لم أكن أسمع شيئًا على الإطلاق؛ وجهت أذنيّ لحجرات أخرى بجواري وقد كان كل ما يأتي هو السكون؛ ماذا حدث لحاسة السمع؟ خرجت من الحجرة متجهًا لحجرة الممرضات وقبل أن أقترب منها سمعت أصواتهم واضحة بالحجرة... خشيت على قدراتي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فوقفت أمام النافذة وسددت أذنيّ لكني لم أرَ شيئًا على البعد كما كان يحدث لي؛ حاسة البصر هي الأخرى تضررت... كتبت كلمات كاذبة في ورقة وشممتها ولم تكن لها أية رائحة تُذكر.. لمست يد أول مريض دخل لحجرة الكشف ولم أستطع معرفة ما يفكر فيه... وكانت محاولتي الأخيرة هي أن أخذت من حجرة الممرضات بعض الطعام المتروك هناك دون أن أخبرهن وأكلته ولم يكن به أي طعم مر.

تيقنت أنه بعد أن عرف الجميع أنني ابن هذه القرية بدأت قدراتي الخارقة تتسرب من بين يديّ؛ بدأت أصبح تدريجيًا إنسانًا طبيعيًا مثل باقي البشر... لا أسمع ولا أرى على مسافات بعيدة؛ لا أشم روائح الكلمات؛ لا يمكنني تمييز طعم الطعام الحرام ولا أستطيع قراءة أفكار الآخرين بلمسهم... لم أخبر أحدًا بذهاب قدراتي هذه كما لم أخبر أحدًا عندما كنت أكتشفها في نفسي... ظلت سري الذي لم يطلع عليه أحد.

بسرعة لم أكن أتوقعها بهتت كل حواسي وتسربت من جسدي نقطة نقطة وتسربت معها قوتي وأصابني الهزال؛ ارتعش المشرط في يدي وأنا أُجري إحدى العمليات الجراحية وسقطتُ مغشيًا عليّ على باب حجرة المرضى.

الأشعة والتحاليل التي أجريتها أوضحت أنه يوجد لديّ ضعف في جهاز المناعة ويتزايد بشكل كبير؛ مرض نادر أصاب جهازي المناعي... ومع اقتراب يوم ميلادي التاسع والعشرين كنت أقترب من الموت خطوة فخطوة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الموت الذي تركني كل هذه الأعوام كان على الباب ينتظرني وكان لا بد لي أن أُصفي حساباتي مع الحياة وأُودع كـل مَن أعرف قبـل أن يأتي.

عشت عمري كله أقرأ كل ما يقع تحت يديّ؛ ألتهم الكتب اِلتهامًا، جائعًا دائمًا للكلمات التي لا أشبع منها؛ وأعتقد أنني قد قرأت بما فيه الكفاية وقد آن الأوان كي أكتب قبل أن ينتهي وقتي في الدنيا... لن أجد أفضل من قصة هذه القرية وأهلها كي أكتب عنها؛ قصة مصباح٧ "تاجر الذكريات" كما أُحب أن أقول عنه؛ حتى بعد موته أهداني ذكرياته وذكريات قرية بأكملها... أخيرًا قد حان الوقت كي أُمسك بالقلم وأكتب، لدي ما يجب أن أقوله وما يستحق أن يُكتَب... سأكتب كل ما أعرفه وكل ما توصلت إليه عن قصة قريتي هذه؛ قصة مصباح وأسورة وجبل ونافذة وتاج؛ ربما بقيت على قيد الحياة حتى الآن حتى أكتب عنهم، أضعهم في كتاب يُخلدهم ويُخلد قصتهم الغريبة هذه.

أخذت أجازة من المستشفى وقبل أن أتركها جاءني خطاب من فراق؛ الخطاب الأخير:

١٧- عزيزي تاج النجاح

ستبدأ امتحانات نهاية العام بعد أسبوع؛ شهر كامل من الامتحانات... أعتذر لأني لن أستطيع الكتابة لك خلال هذا الشهر، فكما تعرف أنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أُخطط للحصول على تقدير كبير وهذا يتطلب مذاكرة مستمرة ليل نهار... لكني أعدك أن أعوضك عن انقطاع خطاباتي خلال هذا الشهر بسيل من الخطابات سينهمر عليك بعد انتهاء الامتحانات؛ ستصرخ وتقول أنقذوني من كل هذه الخطابات التي تلاحقني.

سأفتقد كثيرًا هذه الكتابة إليك والتي أحببتها بشدة واعتدت عليها.

هذا أيضًا خطاب قصير للغاية، أقصر خطاباتي لك، لأني فقط أردت أن أخبرك فيه بإعلان حالة الطوارئ لبدء مذاكرة الامتحانات... فإلى لقاء.

ترى هل ستفتقد خطاباتي؟

مع تحياتي ومحبتي

فراق

نعم يا فراق سأفتقد خطاباتك وأفتقدك.

انقطعت عن الذهاب للمستشفى وتناوب رضا وحسن في الحضور إليّ؛ يوم يأتي رضا ويوم يأتي حسن؛ أخبرتهما بنيتي في كتابة هذا الكتاب فشجعاني على كتابته... عمتي كانت تحضر لي كل عدة أيام؛ أحيانًا تُحضر معها طبيبًا كي يطمأنها على صحتي لكن لم يكن هناك شيء يُقال أمام اقترابي الواضح من الموت... أستاذ مينا أخذ مفتاح شقتي وأصبح مسؤولًا عن إحضار الطعام لي مرتين في اليوم؛ وفي إحدى الأيام أحضر مع الطعام لوحة وقال لي:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- هذه اللوحة رسمتها لك يا تاج... إنها تشبهك.

- لي أنا يا أستاذ مينا؟

- نعم... انظر.

نظرت للوحة فرأيت شجرة كبيرة كل أفرعها بلا أوراق؛ وفي منتصف الشجرة ورقة وحيدة خضراء أشار إليها وهو يقول:

- هذه الورقة الخضراء هي أنت يا تاج... وستنبت بجوارك مع الأيام أوراق أخرى كثيرة.

- أرى أن هذه الورقة ستسقط عن قريب يا أستاذ مينا لتلحق بباقي الأوراق التي سقطت قبلها.

رأيت الدموع تترقرق في عينيه وتحاشى النظر لي وهو يقول بأنه سيذهب لتعليق اللوحة في الصالة.

قضيت عدة أسابيع أكتب وأراجع كل ما أكتبه؛ أوثقه بالصور والمستندات... وضعت في الكتاب مقاطع وصور مما كتبه مصباح في مذكراته؛ صور بخط يده؛ هذا الكتاب يجب أن يكون له؛ هو الذي قادني خلاله بمذكراته وبالملفات التي احتفظ بها جيدًا ودلني عليها من وراء حجاب موته... وضعت في الكتاب صورًا حقيقية مما نَشَرته الجرائد في ذلك الوقت وشهادات ممَن عاصروا الحَدَث وممَن تذكروا بعضًا من أهل القرية بعد أن زالت اللعنة؛ وكانت أهم الشهادات شهادة الممرضة إحسان؛ حيث كتبت في الكتاب كل ما قالته لي قبل موتها.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أهديت الكتاب لمصباح٧؛ له وحده... وكنت أعلـــم يقينًا أنني لـــن أكتب كتبًا أخرى؛ إنه كتابي الأول والأخير؛ كتابي الوحيد.

في كل يوم يمر أقترب من الموت أكثر؛ لذلك وضعت الكتاب أمانة بين يديّ رضا وحسن؛ طلبت منهما أن يبيعا لي السيارة؛ فرفض رضا وثار وقال لي:

- هل جننت يا تاج؟ أتحكم على نفسك بالموت من الآن وأنت طبيب وتعرف أن لكل داء دواء... لقد أرسلت حالتك لأكبر المستشفيات بالخارج وأنتظر الرد.

- أرجوك يا رضا... أرجوك يا حسن... نفذا ما أطلبه منكما.

وبعد إلحاحي عليهما نفذا ما أريد وباعا السيارة فأعطيتهما نصف ثمنها كي يقوما بنشر الكتاب ثم يتصدقا بالباقي على روحي وروح أبي وأمي ومصباح٧... أوصيتهما أيضًا أن يقوما بدفني في المقبرة الجماعية التي بها أهلي... بكى رضا وهو يسمع وصيتي الأخيرة وأبكاني أنا وحسن.

الموت الذي تأجل كل هذه الأعوام؛ انتظرني حتى أعرف السر؛ انتظرني حتى أكتب القصة كاملة في كتاب يبقى؛ لكن مَن سيكتب عني؛ عن حياتي؛ عن موتي.

إنها النهاية التي يجب أن ألحق فيها بأهل قريتي؛ ذهبت لرؤية إخوتي من أبي مراد؛ كانوا في حال جيدة، وأعطيت زوجة أبي نصف ثمن السيارة كي تحتفظ بها لإخوتي عندما يحتاجون إليه... ثم ذهبت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لعمتي، لم أقل لها إنه وداعي الأخير لكنها ربما كانت تشعر بذلك من نظرات عينيّ.

كانت الشقة التي أدفع أقساطها قد اكتملت ودفعت القسط الأخير فيها؛ كانت تنتظرني لأسكن فيها ولم يكن لديّ وقت لهذا؛ لذلك فقد قمت ببيعها ووضعت كل ثمنها في حساب فراق لتنُفقه على تعليمها حتى تصبح مهندسة كما تحلم وتتمنى... كتبت لها خطابًا أولًا وأخيرًا، أخبرتها فيه بكل ما أردت قوله ولم يكن لديّ وقت لأقوله؛ اعترفت لها فيه بحبي لها ولكلماتها، بحقيقتي وبمَن أكون.

أعطيت الخطاب لرضا كي يعطيه لها بعد موتي... وقلت له:

- فراق يا رضا أهم شيء في حياتي الآن؛ حب حقيقي لم أستطع التصريح به... أوصيك أن تساعدها في أن تترك الحياة في المقابر وتأتي لتعيش في هذه الشقة التي أسكن فيها، أخبرها أنها تستطيع بما تركته لها من نقود أن تدفع إيجارها وتُكمل تعليمها... كل ما أملك في هذه الشقة هو لها؛ وسأتحدث مع صاحب المبنى وأخبره بهذا.

- يبدو أنها قدم فراق باسمها هذا.

- أرجوك يا رضا عدني أن تهتم بها مثلما تفعل معي... هي وصيتي الأخيرة لك.

- أعدك يا تاج.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تحدثت كثيرًا مع رضا وحسن عن فراق، قلت لهما كل ما أعرفه عنها، ظللت أوصيهما بها وبرعايتها، أعطيتهما عنوانها في المقابر؛ وأكدت على أنها أهم وكل ما أترك ورائي.

استمر الأستاذ مينا في رعايته اليومية لي؛ يضع لي الطعام ويعطيني الدواء؛ لم أجد أحدًا أقرب لي منه في أيامي الأخيرة... أخبرته عن فراق؛ حدثته كثيرًا عنها؛ قلت له إنها ستأتي لتعيش هنا بعد موتي وأوصيته بها فوعدني من بين دموعه بأنه سيرعاها كابنته.

أخرجت من الصندوق الذي خصصته لكلمات فراق كل خطاباتها لي؛ سبعة عشر خطابًا؛ قرأتها كلها بنفس ترتيبها وكان هناك شيء أخير كنت أود أن أفعله قبل موتي؛ هو أن أرى فراق وأسمع صوتها للمرة الأخيرة.

وفي اليوم الأخير لامتحانات فراق؛ كنت هناك أنتظرها على باب المدرَّج الذي تؤدي الامتحان بداخله... رأيتها تخرج منه هي وزميلاتها سعداء بانتهاء الامتحانات؛ بجوارها وجدان كما وصفتها لي في خطاباتها؛ أشرت لها من بعيد فرأتني ولم تتبين ملامحي في البداية من النقص الشديد الذي أصاب وزني؛ لكنها عرفتني بعد تدقيق في وجهي وجاءت جريًا حيث أقف وأخذت تنادي على وجدان التي جاءت وراءها... سلمَّت عليّ وهي تضحك بكل خلية من خلايا وجهها؛ قالت لوجدان وهي تكاد تقفز من السعادة:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

- أخي الدكتور تاج الذي حدثتكِ عنه... لقد عاد في أجازة.

سلمت عليها وعلى وجدان التي انسحبت من اللقاء وتركتنا نقف وجهًا لوجه... تمنيت وأنا أسلم عليها لو أن قدراتي ما زالت موجودة ويمكنني أن أرى ما تفكر فيه؛ ورغم ذلك فقد رأيت الكثير في نظرة عينيها... نظرت في وجهي بشدة وقالت لي بتأثر واضح:

- ماذا بك يا دكتور؟ أرى صحتك متدهورة؛ كدتُ لا أعرفك.

- أنا مريض بعض الشيء.

- سلامتك... ماذا بك؟

- ستعرفين كل شيء فيما بعد... أخبريني الآن عن الامتحانات.

- امتياز بإذن الله.

- أنا فخور بكِ يا فراق وأريدكِ أن تظلي هكذا دومًا؛ ناجحة ومتفوقة وسعيدة.

- وأنا أريد أن أراك كل يوم؛ وأكتب لك خطابات لا حصر لها... هل أحببت خطاباتي؟

- بشدة يا فراق... هي أجمل ما في حياتي.

احمر وجهها ونظرت في الأرض وكنتُ من الضَعف بحيث لا أستطيع أن أطيل وقت اللقاء أكثر من هذا فأخبرتها بأنني يجب أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أغادر الآن وطلبت منها أن تذهب لصديقاتها؛ حاولَت أن تستبقيني بكلماتها وعينها لكني تركتها مع وعد زائف بلقاء آخر؛ لقاء لن يأتي.

.. تمت ..

أمل الأصيل

مصر/أسيوط – مايو/2016

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الوريث

-أنا الآن فرع جاف سقط من شجرة الزمن؛ حملته أيد كثيرة وركلته أرجل؛ ولا أعرف لي أصلا... أي شجرة تلك التي أقتلعت منها؟ وأي أرض شربت من مائها؟

الحقيقة الواضحة أمامي أني من قرية ميتة... وكل أهلي أموات؛ ماضي ميت وحاضر مغشوش، زائف... ترى ما هو المستقبل الذي سيصنعه هذا الهجين؟"